ابن زهر

(الحفيد)
وشاح الأندلس

دكتور
فوزى سعد عيسى
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية
جلال حزى وشركاه


مكتبة
لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com

إهداء

إلى إبنتي . . . رانيـــا . . .

مقدمة

إستحدث الأندلسيون فن الموشحات فى أواخر القرن الثالث الهجرى ، وكان هذا الفن الجديد ثورة حقيقية على النمط التقليدى للقصيدة العربية ، وقيض للاندلس أن تحظى بكوكبة من الوشاحين فى أجيال متعاقبة كان لهم أثر واضح فى تطور هذا الفن وازدهاره . ولا تذكر أسماء مشاهير الوشاحين فى الأندلس إلا ويذكر معها اسم ابن زهر الحفيد، فهو واحد من أبرز وشاحى الأندلس ، وهو ليس وشاحاً عادياً ، بل هو صاحب مدرسة فى فن التوشيح هى مدرسة الطبع والبساطة ، وقد أدرك ذلك أسلافنا القدماء ، فوصفوه بأنه أول من عصر سلافة التوشيح لأهل الأندلس ، وأنه انفرد بطريقة متميزة كانت هى الغاية والمطمح لمن جاء بعده من الوشاحين .

ومع هذه المكانة البارزة التى تبوأها ابن زهر بين معاصريه ، وعلى مر العصور ، فانه لم يحظ ـ فيما أعلم ـ بدراسة تكشف عن خصائص فنه، وتضعه فى مكانه اللائق به ، وقد أخذت أتتبع أخبار ابن زهر وأشعاره وموشحاته فى المظان المختلفة حتى تجمعت لدى مادة تستطيع أن تنى بما يصور الجوانب المختلفة لهذا الوشاح المبدع .

واقتضت طبيعة هذا البحث أن يشتمل على ستة فصول ، نخصصت الفصل الأول لاستقصاء أخبار بنى زهر وتتبع جهودهم فى الطب والأدب، وفى الفصل الثانى عنيت بالحديث عن حياة ابن زهر الحفيد وصلاته وثقافته .

أما الفصل الثالث فقد مهدت له بالحديث عن نشأة الموشحات وتطورها ثم تناولت بالدراسة الموضوعات التى أجاد فيها ابن زهر فى موشحاته . وفى

الفصل الرابع درست جوانب الشكل الفنى فى موشحات ابن زهر فتناولت فيه طريقته فى بنـاء الموشح ، ومظاهر التجديد عنده فى الموسيقى واللغة والصور الفنية .

وفى الفصل الخامس تحدثت عن منزلة ابن زهر الأدبية ومكانته بين الوشاحين .

أما الفصل السادس فخصصته للحديث عن ابن زهر الشاعر فى حدود ما وصلنا من نماذج شعرية عثرنا عليها فى المصادر المختلفة .

وحتى يستكمل البحث جوانبه ، أوردنا فى ختـامه ما أبقته لنـا الأيام من آثار ابن زهر فى الشعر والموشحـات .

ونأمل أن يسد هذا البحث فراغاً فى المكتبة الأندلسية ، والله نسأل أن يوفقنا ويهدينا إلى سواء السبيل . . م

الاسكندرية فى يوليو ١٩٨٣

الفصل الأول

بنو زهــــر

وجهودهم فى الطب والأدب

ينتمي ابن زهر الحفيد إلى أسرة شهيرة توارثت زعامة الطب فى العصور الوسطى على مدى ستة أجيال ، بدءاً بعميدهم الأكبر محمد بن مروان بن زهر وإنتهاء بأبى محمد عبد الله بن الحفيد أبى بكر ابن زهر .

وكانت جهود أسرة بنى زهر فى الطب تتويجاً لجهود أطباء أندلسيين سبقوهم على شاكلة أبى الصلت أمية بن عبد العزيز الدانى، وابن باجة، وسفيان الثورى ، وابن وافد الطليطلى ثم أبى الوليد بن رشد صاحب كتاب « الكليات » الذى تداوله الناس ونال شهرة واسعة فى العصور الوسطى « إذ أنه يتناول التشريح ووظائف الأعضاء والأمراض وأعراضها والأدوية والأغذية وحفظ الصحة والعلاج » . (١)

ثم آلت رئاسة الطب إلى بنى زهر ، فتوارثوها جيلا بعد جيل ، وحظوا بمكانة كبيرة لدى الخلفاء والأمراء ، ولم يقتصر الاشتغال بالطب على رجال بنى زهر وحدهم بل شاركتهم فى ذلك نساؤهم فاشتهر منهن بالطب أخت الحفيد ابن زهر وابنتها اللتان يصفهما ابن أبى أصيبعة بأنها كانتا « عالمتين بصناعة الطب والمداواة ، ولهما خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء ، وكانتا تدخلان إلى نساء المنصور ولا يقبل (لمداواة) أهله إلا أخت الحفيد أو بنتها » (٢).

وقد يكون من المفيد لجلاء الصورة أن نقف على جهود كل واحد منهم على حدة :

محمد بن مروان بن زهر :

هو عميد عائلة ابن زهر والجد الأكبر لابن زهر الحفيد وشهرته أبو بكر

(١) تاريخ الفكر الأندلسى ، بالنثيا ، ص ٤٦٩ .
(٢) طبقات الأطباء ٢/٧٠ .

اشتغل بعلم الحديث فى طليطلة ، وروى عنه بها بعض المحدثين مثل حاتم بن محمد ابن مصنف أبى عبد الرحمن النسائى(١).

وقد وصف محمد بن مروان بأنه « كان عالماً بالرأى ، حافظاً للأدب ، فقيها ، حاذقا بالفتوى ، متقدماً فيها ، متقناً للعلوم ، فاضلا ، جامعاً للدراية والرواية ، وتوفى بطلبيرة سنة ٤٢٢ هـ وهو ابن ست وثمانين سنة » (٢) .

عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر :

وهو أول من اشتغل بصناعة الطب من أسرة بني زهر ، ولذلك يعتبره بعض المؤرخين العميد الفعلى لبنى زهر وصاحب هذا البيت الشهير بالأندلس (٣)

وقد رحل عبد الملك هذا إلى المشرق ، وتطبب به زمناً ، وتولى رئاسة الطب ببغداد ، ثم بمصر ، ثم القيروان ثم قفل إلى الأندلس واستوطن مدينة دانية ، وطار ذكره فيها إلى أقطار الأندلس والمغرب ، واشتهر بالتقدم في علم الطب حتى تفوق على أهل زمانه . (٤)

ويذكر ابن أبي أصيبعة أن عبد الملك بن زهر حظي بمكانة كبيرة فى بلاط مجاهد العامرى ملك دانية فى ذلك الوقت ، حيث أكرمه إكراماً كثيرا ، وأمره أن يقيم عنده ففعل وحظي فى أيامه (٥) .

وقد انتقل عبد الملك من دانية إلى إشبيلية ولم يزل بها إلى أن توفي بعد أن

---

(١) بغية الملتمس ص ١٢٠ ترجمة رقم (٢٧٩) .
(٢) نفح الطيب ٢٤٤/٢ .
(٣) نفسه ٢٤٤/٢ .
(٤) نفسه ٢٤٤/٢ .
(٥) طبقات الأطباء ٦٤/٢ .

خلف أموالا جزيلة وكثيراً من الرباع والضياع (١) ، وهذه الرواية تناقض رواية عبد الملك المراكشي الذي يذكر أن عبد الملك بن زهر توفى بدانية ودفن بازاء الجامع القديم مع قبر أبي الوليد الوقشي . (٢)

أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر :

هو جد أبي بكر بن زهر الحفيد ، ورث الطب عن أبيه عبد الملك وروى عنه وكان أبوه قد جلب من المشرق دواوين من فنون العلم على تفاريقها (٣) فعكف عليها أبو العلاء ، « وكان قد اشتغل بصناعة الطب وهو صغير في أيام المعتضد بالله أبي عمرو عباد بن عباد ، واشتغل أيضاً بعلم الأدب ، وهو حسن التصنيف ، جيد التأليف ، وفي زمانه وصل كتاب القانون لابن سينا إلى المغرب وقال إبن جميع المصري في كتابه (التصريح بالمكنون في تنقيح القانون) أن رجلا من التجار جلب من العراق إلى الأندلس نسخة من هذا الكتاب قد بولغ في تحسينها ، فأتحف بها لأبي العلاء بن زهر تقربا إليه ، ولم يكن هذا الكتاب وقع إليه قبل ذلك ، فلما تأمله ذمه واطرحه ولم يدخله خزانة كتبه وجعل من طرره ما يكتب فيه نسخ الأدوية لمن يستفتيه من المرضى » (٤) .

ويقول عنه اليسع بن عيسى أحد معاصريه إنه كان مع صغر سنه تصرخ النجابة بذكره ، وتخطب المعارف بشكره ، ولم يزل يطالع كتب الأوائل متفهما ، ويلقى الشيوخ مستعلماً حتى برز في الطب إلى غاية عجز الطب عن

---

(١) طبقات الأطباء ٢/٦٤ .
(٢) الذيل والتكملة ٥/١/ ص ٣٧ .
(٣) نفسه ٥/١ ص ٣٧ .
(٤) طبقات الأطباء ٢/٦٤ — ٦٥ .

مرامها ، وضعف الفهم عن إبرامها ، وخرجت عن قانون الصناعة إلى ضروب من الشناعة ، يخبر فيصيب ، ويضرب فى كل ما ينتحله من التعاليم بأوفى نصيب ، ويشعر سابق مدى ، ويغبر فى وجوه الفضلاء علماً ومحتداً ويفوق الجلة سماحة وندى » (١) .

ويشير ابن أبى أصيبعة إلى براعة ابى العلا بن زهر فى الطب فيقول (٢) : « وله علاجات مختارة تدل على قوته فى صناعة الطب واطلاعه على دقائقها ، وكانت له نوادر فى مداواته المرضى ومعرفته لأحوالهم وما يجدونه من الآلام من غير أن يستخبرهم عن ذلك بل بنظرة إلى قواريرهم أو عندما يجس نبضهم » .

واحتفى ابن بسام بأبى العلاء بن زهر فى « الذخيرة » فأفرد له ترجمة واسعة وأثبت جملة وافرة من شعره فقال عنه « وكنا نتوقع الحمام حتى سطا ونتجع الغمام إلى أن أعطى ، لو ساجل البحر لفضحه ، أو وازن الدهر لرجحه ، نشأ بشرق الأندلس ، والآفاق تتهادى عجائبه ، والشام والعراق تتدارس بدائعه وغرائبه ، ومال إلى علم الأبدان ، فلولا جلالة قدره لقلنا جاذب هاروت طرفاً من سحره ، ولولا أن الغلو آفة المديح ، لتجاوزت طلق الجموح » (٣) .

ويقول ابن بسام إن أبا العلاء لم يزل مقيما بشرق الأندلس إلى أن كان من غزوة يوسف بن تاشفين فيمن انضم إليه من ملوك الطوائف إلى حصن

---

(١) طبقات الأطباء ٢/٦٥ .

(٢) نفسه ٢/٦٤ .

(٣) الذخيرة ٢/١/ ص ٢١٩ — ٢٢٠ .

لبيط ، فشخص الوزير أبو العلاء معهم ، فلقيه المعتمد واستماله واستهواه ، وصرف عليه بعض أملاكه (١) ولكن أبا العلاء لم يستقر بأشبيلية إلا بعد خلع المعتمد ، وقد حظى فى أيام المرابطين بمنزلة رفيعة ، ولكنه ظل على وفائه للمعتمد ، فبينما كان المعتمد معتقلا فى أغمات ، اعتلت بعض كرائمه ، فبادر أبو العلاء إليها ولاطف علاجها ، ورفع قدر المعتمد بالتبجيل ، ودعا له بالبقاء الطويل ، فكتب له المعتمد إثر ذلك بهذه الأبيات : (٢)

دعا لى بالبقاء وكيف يهوى ... أسير أن يطول به البقاء
أليس الموت أروح من حياة ... يطول على الشقى بها الشقاء
أأرغب أن أعيش أرى بناتى ... عوارى قد أضر بها الحفاء

ويقول مخاطباً أبا العلاء :

جزيت أبا العلاء جزاء بر ... نوى براً وصاحبك العلاء
سيسلى الكل عما فات علمى ... بأن الكل يدركه الفناء

وأجابه أبو العلاء بأبيات قال فيها :

تنافست المراتب فيك حتى ... حللت العسر إذ نحب الشقاء
عزيز أن ينال البحر نهى ... وتسقى الكوثر العذب الرشاء
ويلقى فى متون الرمل ماء ... وتشكو غاية المحل السماء
ولكن الزمان بلؤم طبع ... على الحر الشريف له اعتداء
ومجدك إنه قسم عظيم ... به وجد السنا وله السناء

(١) الذخيرة ٢/١/ ٢٢٠ .
(٢) نفسه ٢/١/ ٢٢٧ .

لكنت الغيث إن محل تبدى وكنت الليث إن عن اللقاء
ومثلك عز قدرك عن مثيل يؤمل أن يطـول له البقـاء
لأنك فى سمـاء المجد نجـم به لنـواظر الدنيـا جـلاء
وغـاية كل شيء لانتهـاء وأنت لغـاية المجد انتهـاء

ويحتفظ ابن بسام لأبى العـلاء ابن زهر بمقطوعات إخوانية تشير إلى توثق صلاته بعدد كبير من مشاهير عصره مثل حسام الدين بن رزين وأبى الوليد بن حزم والوزير أبى محمد بن عبدون ، وقد تقلد أبو العلاء منصب الوزارة فى عهد المرابطين ولذلك يصفه ابن دحية بقوله : « إنه كان وزير ذلك العهد وعظيمه ، وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه » (١) . وقد توفى أبو العلاء ممتحناً من نغلة بين كتفيه سنة ٥٢٥ هـ بمدينة قرطبة .

ولأبى العلاء بن زهر تآليف كثيرة ذكرها ابن أبى أصيبعة منها :

- كتاب الخواص .
- كتاب الأدوية المفردة .
- كتاب الإيضاح بشواهد الإفتضاح فى الرد على ابن رضوان فيما رده على حنين بن إسحاق فى كتاب المدخل إلى الطب .
- كتاب حل شكوك الرازى على كتب جالينوس .
- مقالة فى الرد على أبى على بن سينا فى مواضع من كتابه فى الأدوية المفردة ألفها لابنه أبى مروان .
- كتاب النكت الطبية ، كتب بها إلى ابنه أبى مروان .
- مقالة فى بسطه لرسالة يعقوب بن إسحاق الكندى فى تركيب الأدوية.

---

(١) المطرب ص ٢٠٣ .

وله تآليف خلاف ذلك وقد أمر بجمعها وجمع مثيلاتها على بن يوسف بن تاشفين بعد وفاة أبي العلاء ، فجمعت بمراكش وبسائر بلاد العدوة والأندلس وانتسخت فى جمادى الآخرة سنه ٥٢٦ ﻫ (١) .

أبو مروان : عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن زهر :

هو والد أبي بكر بن زهر الوشاح ، وقد أخذ أبو مروان علم الطب عن أبيه أبي العلاء بن زهر كما روى الحديث عن أبي محمد بن عتاب (٢) ، وترجم له عبد الملك المراكشي فقال عنه : « كان وجيه بلده ، جليل القدر فى أهله ، نبيه السلف ، حظياً عند الأمراء والملوك ، متحققاً بصناعة الطب ، متقدماً فيها ، موفقاً فى علاج المرضى ، وكان أبو الوليد بن رشد يقول بتفضيله فى صناعته على غيره من أهل عصره ويرفع به ويشهد بمهارته . »(٣)

وقال عنه ابن أبي أصيبعة : « كان جيد الاستقصاء فى الأدوية المفردة والمركبة ، حسن المعالجة ، قد شاع ذكره فى الأندلس وفى غيرها من البلاد ، واشتغل الأطباء بمصنفاته . ولم يكن فى زمانه من يماثله فى مزاولة أعمال صناعة الطب ، وله حكايات كثيرة فى تأتيه لمعرفة الأمراض ومداواتها مما لم يسبقه أحد من الأطباء إلى مثل ذلك » . (٤) وقد عاش أبو مروان فى عهد المرابطين وخدم ملوكهم ونال من جهتهم من النعم والأموال شيئاً كثيراً (٥)، وصنف

---

(١) طبقات الأطباء ٢/٦٦ .

(٢) الذيل والتكملة ٥/١/ ص ١٨ .

(٣) نفسه ٥/١/ ص ١٨ .

(٤) طبقات الأطباء ٢/٦٦ .

(٥) نفسه ٢/٦٦ .

ليوسف بن تاشفين كتاب (الاقتصـاد فى صلاح الأجساد) وفرغ منه سنة ٥١٥ هـ (١) . ولكنه تعرض لمحنة فى خـلافة على بن يوسف بن تاشفين حيث اعتقل بسجن مراكش مدة لأسباب لا نعلمها ثم سرح وعاد إلى بلده (٢) .

وقد أدرك أبو مروان دولة الموحدين واختصه عبد المؤمن بن على لنفسه وجعل اعتماده عليه فى الطب وأناله كثيراً من الإنعام والعطاء « وكان مكيناً عنده ، عالى القدر ، متميزاً على كثير من أبنـــاء زمانه » (٣) وألف له أبو مروان بن زهر كتاب (الترياق السبعينى) .

ويحتفظ ابن أبى أصيبعة بروايتين تدلان على براعة أبى مروان بن زهر فى الطب ، واستخدامه هذه الصناعة بطريقة عملية فذة ، فيذكر أن الخليفة عبد المؤمن بن على احتاج إلى شرب دواء مسهل ، وكان يكره شرب الأدوية المسهلة ، فتلطف له ابن زهر فى ذلك ، وأتى إلى كرمة فى بستانه ، فجعل الماء الذى يسقيها به ماء قد أكسبه قوة أدوية مسهلة بنقعها فيه أو بغليانها معـه ، ولما تشربت الكرمة قوة الأدوية المسهلة التى أرادها وطلـع فيها العنب وله تلك القوة الحيوية أعطى الخليفة عنقوداً منها وأشـار عليه أن يأكل منه ، وكان حسن الاعتقاد فى ابن زهر ، فلما أكل منه وهو ينظر إليه ، قال له : يكفيك ياأمير المؤمنـين ، فانك قد أكلت عشر حبات من العنب وهى تخدمك عشرة مجالس ، فاستخبره عن علة ذلك وعرفه به ، ثم قام على عدد ما ذكر له ووجد الراحة فاستحسن منه فعله هذا وتزايدت منزلته عنده (٤) .

---

(١) الذيل والتكملة ٥/١/ ص ١٨ - ١٩ .
(٢) نفسه ٥/١/ ص ١٩ .
(٣) طبقات الأطباء ٦٦/٢
(٤) نفسه ٦٦/٢ .

أما الرواية الثانية التى تدل على ممارسة أبى مروان بن زهر للطب بطريقة عملية فقد جاءت على لسان الشيخ محي الدين بن عربى ، حيث ذكر أن أبا مروان كان فى وقت مروره إلى دار أمير المؤمنين باشبيلية يجد فى طريقه عند حمام أبى الخير بالقرب من دار ابن مؤمل مريضاً يشكو إليه حاله فنظر إليه فوجد عند رأسه إبريقاً عتيقاً يشرب منه الماء فقال له : اكسر هذا الإبريق فانه سبب مرضك ، فقال له : لا بالله ياسيدى ، فان مالى غيره ، فأمر بعض خدمه بكسره فكسره ، فظهر منها لما كسر ضفدع وقد كبر مما له فيه من الزمان ، فقال له ابن زهر : خلصت يا هذا من المرض . أنظر ما كنت تشرب ، وبرأ الرجل بعد ذلك (١) .

ويرى (بالنثيا) أن أبا مروان بن زهر يعتبر أعظم بنى زهر جميعاً فى صناعة الطب ، ويشير إلى طريقته وآرائه فى الطب فيقول (٢) : « وكان يأنف من الفصد والجراحات (على الرغم من أنه لجأ إلى الجراحة فى بعض الأحيان ونجح فيها) ، وكان يرى كذلك أنه لا ينبغى للطبيب أن يقوم بتحضير الأدوية ، فسبق بهذا إلى مفهوم الطب الحديث من فصل الجراحة عن الطب الباطنى وعن الصيدلة . وصرف همه كله إلى الطب الباطنى ، فألف فيه كتاب (الإقتصاد) وهو دراسة للطب عامة ، وكتب كتابا آخر فى الأغذية والأدوية ، وكتاباً ثالثاً يسمى (التيسير) أهداه إلى ابن رشد ، وهو كتاب تتجلى فيه شخصية ابن زهر بكل وضوح ، ويعتبر خير ما ألف العرب فى الطب العملى ، فقد تحرر فيه من كل ما كان يقيد غيره من آراء

---

(١) طبقات الأطباء ٢/٦٧ .

(٢) تاريخ الفكر الأندلسي ص ٤٧١ .

نظرية ، وهو يأخذ فيه بما تؤدى إليه الملاحظة المباشرة ، مفضلا ذلك على متابعة جالينوس وغيره من القدماء » .

وقد توفى أبو مروان بن زهر من نغلة صعبة أصابته وذلك سنة ٥٥٧ هـ وكانت وفاته بمراكش وقد نقل جثمانه إلى أشبيلية حيث دفن فى مقبرة بنى زهر خارج باب الفتح .

الفصل الثانى

ابن زهر الحفيد

حياته وصفاته وثقافته

أبو بكر بن زهر الحفيد

هو محمد بن عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الإيادي وهو ينحدر من أصل عربي عريق حيث ينتمي إلى قبيلة إياد .

ولد أبو بكر بن زهر في مدينة إشبيلية سنة ٥٠٧ هـ منتسباً إلى بيت بني زهر العريق ، وهو عين ذلك البيت، وإن كانوا كلهم أعياناً من علماء رؤساء وحكماء ووزراء ، وقد نالوا المراتب العالية ، وتقدموا عند الملوك ، وحظوا عند الأمراء ، ونفذت أوامرهم .

وقد انفرد إبن زهر بالإمامة في علم الطب بعد أن أخذ الصناعة عن أبيه عبد الملك ، وعن جده أبي العلاء زهر بن عبد الملك ، وبرع في صناعته حتى نال تقدماً وحظوة عند السلاطين وحمل الناس عنه تصانيفه وكان يلقب بشيخ الطب وجالينوس العصر . (١)

وكان أبوه قد تعهده بالرعاية والتوجيه منذ صغره ، وكان أستاذه المباشر في صناعة الطب ، حتى ليذكر ابن أبي أصيبعة أن أباه ألف كتاب الزينة تذكره إلى ولده أبي بكر في أمر الدواء المسهل وكيفية أخذه وذلك في صغر سنه وأول سفرة سافرها ، فناب عن أبيه فيها ، وله كتاب تذكرة ذكر بها لابنه أبي بكر أول ما تعلق بعلاج الأمراض . (٢)

وثمة رواية تشير إلى نبوغه وتفوقه في صناعة الطب منذ وقت مبكر ،

---

(١) شذرات الذهب ٣٢٠/٤ .
(٢) طبقات الأطباء ٦٧/٢ .

فقد كتب والده يوما نسخة دواء مسهل لعبد المؤمن بن على ، فلما رآه أبو بكر بن زهر بعد ذلك وكان فى حال شبيبته قال : يجب أن يبدل هذا الدواء المفرد منه بدواء آخر ، فلم يتناول عبد المؤمن ذلك الدواء ، ولما رآه أبوه قال : يا أمير المؤمنين إن الصواب فى قوله ، وبدل الدواء المفرد بغيره فأثر نفعاً بيناً . (١)

ولما عرض لأبيه تلك العلة التى أودت بحياته كان يعالجها ويصنع لها مراهم وأدوية ولم تؤثر نفعا يعتد به فكان أبو بكر بن زهر يقول لأبيه :

« يا أبى لو غيرت هذا الدواء بالدواء الفلانى، ولو زدت من هذا الدواء أو استعملت دواء كذا وكذا ، فكان يقول له يا بنى إذا أراد الله تغيير هذه البنية فانه لا يقدر لى أن أستعمل من الأدوية إلا ما يتم به مشيئته وإرادته ».(٢)

ثقافته :

تنوعت ثقافة ابن زهر الحفيد ، فمع أنه انفرد بالامامة فى علم الطب فى وقته إلا أنه رزق حظاً وافرا من الآداب واللغة والحفظ لأشعار الجاهلية والمولدين والمشاركة فى سواهما (٣) . وقد وصف بأنه كان حافظاً للقرآن وأنه لم يكن زمانه أعلم منه بمعرفة اللغة (٤) ، ويقول عنه تلميذه ابن دحية : « وكان شيخنا الوزير أبو بكر ـ رحمة الله ـ بمكان من اللغة مكين، ومورد من الطلب عذب معين . كان يحفظ شعر ذى الرمة وهو ثلث لغة العرب » (٥)

(١) طبقات الاطباء ٦٨/٢ .
(٢) نفسه ٦٧/٢ .
(٣) التكملة ٥٥٥/٢ .
(٤) طبقات الأطباء ٦٨/٢ .
(٥) المطرب ص ٢٠٣ .

كما حدث بالمقامات عن أبيه عن الحريرى (١) .

ولم تقف ثقافته عند هذا الحد ، إذ كان كثير العلوم ، فقد سمع الحديث، وقيل إنه كان يحفظ صحيح البخارى كله أسانيد ومتوناً (٢) ، وذكر القاضى أبو مروان محمد بن أحمد الباجى من أهل أشبيلية أن أبا بكر بن زهر لازم جده عبد الملك الباجى سبع سنين يشتغل عليه وقرأ عليه كتاب المدونة لسحنون فى مذهب مالك، وقرأ عليه أيضا مسند بن أبى شيبة(٣) كما يشتهر بغزارة الحفظ ولا سيما فى الشعر . وقد أورد الشقندى رواية تدل على سعة حفظه ، فقال في رسالته :

«وأما علماؤها وشعراؤها - يعنى الأندلس - فانى لم أعرض منهم إلا لمن هو فى الشهرة كالصباح ، وفى مسير الذكر كمسير الرياح ، وأنا أحكى لك حكاية جرت لى فى مجلس الفقيه الرئيس أبى بكر بن زهر ، وذلك أنى كنت يوما بين يديه ، فدخل علينا رجل عجمى من فضلاء خراسان ، وكان ابن زهر يكرمه ، فقلت له : ما تقول فى علماء الأندلس وكتابهم وشعرائهم ؟

فقال : كبرت ، فلم أفهم مقصده ، وأستبردت ما أتى به ، وفهم منى أبو بكر بن زهر أنى نظرته نظر المستبرد المنكر ، فقال لى ، أقرأت شعر المتنبى ؟ قلت : نعم ، وحفظت جميعه ، قال : فعلى نفسك إذن فلتنكر ، وخاطرك بقلة الفهم فلتتهم ، فذكرنى بقول المتنبى :

كبرت حول ديارهم لما بدت   منها الشموس وليس فيها المشرق

---

(١) التكملة ٢/٥٥٥ .

(٢) شذرات الذهب ٤/٣٢٠ .

(٣) طبقات الأطباء ٢/٦٨ .

فاعتذرت للخراساني وقلت له : قد والله كبرت في عيني بقدر ما صغرت نفسي عندي حين لم أفهم نبل مقصدك » . (١)

فثقافة ابن زهر تنوعت بين الطب والأدب واللغة والحديث والفقه،ولذلك يقال في وصفه : الوزير الطبيب الرئيس الأديب الفقيه .

صفاته وأخلاقه :

إحتفى أصحاب التراجم بأبي بكر بن زهر وأشادوا بصفاته وأخلاقه ، وقد تحدث ابن أبي أصيبعة عن صفاته الخلقية فوصفه بأنه « كان معتدل القامة، صحيح البنية ، قوي الأعضاء ، وصار في سن الشيخوخة ونضارة لونه وقوة حركاته لم يتبين فيها تغير ، وإنما عرض له في أواخر عمره ثقل في السمع »(٢) كما وصف بأنه كان شديد البأس يجذب قوساً مائة وخمسين رطلا بالإشبيلي (٣) . كما عرف عنه أنه كان جيد اللعب بالشطرنج جدا . (٤)

وتحدث كتاب التراجم عن أخلاقه وطباعه ، فوصف بأنه « كان ملازماً للأمور الشرعية ، متين الدين ، قوي النفس ، محباً للخير ، وكان مهيباً وله جرأة في الكلام (٥) . كما كان متواضعا مع شرف نفس وتهذيب خلق . (٦)

ووصفه ابن الأبار بأنه كان سمحا ، جواداً ، نفاعاً بجاهه وماله، ممدوحا

---

(١) نفح الطيب ٣/٢٢٢ .
(٢) طبقات الأطباء ٢/٦٧ـ٦٨ .
(٣) نفسه ٢/٦٨ .
(٤) نفسه ٢/٦٨ .
(٥) نفسه ٢/٦٨ .
(٦) المعجب ص ١٤٥ .

من رجال الكمال . (١)

ويحتفظ ابن أبي أصيبعة برواية تدل على ما عرف به ابن زهر من كرم وسخاء ، فيقول إن رجلا من بني اليبقي كان صديقا للحفيد أبي بكر بن زهر ، وكان يجالسه كثيرا ويلعب معه بالشطرنج ، وأنه كان عند الحفيد أبي بكر يوماً وهما يلعبان بالشطرنج ، فرآه الحفيد على غير ما يعهده به من الإنبساط فقال له : ما لخاطرك كأنه مشتغل بشيء عرفني ما هو ؟ فقال : نعم إن لى بنتاً زوجتها لرجل ، وهو يطلبها ، وقد احتجت إلى ثلثمائة دينار . فقال له : العب وما عليك ، فان عندى فى وقتنا هذا ثلثمائة دينار إلا خمسة دنانير تأخذها فلعب معه ساعة واستدعى بالذهب وأعطاه له ، فلما كان عن قرب أتاه صاحبه وترك بين يديه ما اقترضه منه فقال له ابن زهر : ما هذا ؟ فقال : إننى بعت زيتوناً لى بسبعمائة دينار وقد أتيت منها بثلثمائة دينار إلا خمسة عوض الذى تفضلت به على وأقرضتنى إياه وقد بقى عندى حاصلا أربعمائة دينار ، فقال له ابن زهر : ارفع هذا عندك وانتفع به ، فانني مادفعت لك الذهب على أنى أعود آخذه أبدا ، فأبى الرجل ، وتفاوضا فى ذلك ، فقال له ابن زهر : يا هذا أنت صديقى أو عدوى ؟ فقال له : بل صديقك وأحب الناس فيك ، فقال : إن الصديقين مالهما شىء واحد ، فمتى احتاج أحدهما إلى شيء منه تناوله فلم يقبل الرجل ، فقال له ابن زهر : والله لئن لم تأخذه لأعادينك بسببه ولا أعود أكلمك أبدا ، فأخذه منه وشكره على فعله » (٢)

وثمة رواية أخرى تدل على ما عهد فى ابن زهر من كرم النفس ، ونبل

---

(١) التكملة ٢/٥٥٥ .

(٢) طبقات الأطباء ٢/٦٨ — ٦٩ .

الخلق حتى مع أشد الناس عداوة له ، فقد ذكر الشقندى أن أبا بكر بن زهر نشأت بينه وبين الحافظ ابى بكر ابن الجد عداوة مفرطة للتنافس فى العلم والرياسة وكثرة المال والبلدية ، فأجرى ابن زهر يوما ذكره فى جماعة من أصحابه وقال: لقد آذانا هذا الرجل أشد أذية ، ولم يقصر فى القول عند أمير المؤمنين وعند خواص الناس وعوامهم ، فقال له أحد عوامهم : إنى أذكر لك عليه عقداً فيه مخاصمه في موضع مما يعز عليه من مواضعه ومتى خاصمته فى ذلك بلغت منه فى النكاية أشد مبلغ ، فحرج ابن زهر ، وأظهر الغضب الشديد والإنكار لذلك ، وقال لوكيله : أمثلى يجازى على العداوة بما يجازى به السفل والأوباش ؟ وإنى أجعل ابن الجد فى حل من موضع الخصام ، وأمر بأن يحمل له العقد ، ثم قال : وإني والله ما أروم بذلك أن أصالحه، فان عداوته من حسد، وأنا أسأل الله تعالى أن يديمها لأنها مقترنة بدوام نعم الله على (١).

وكان لوالد إبن زهر أثر كبير فى تنشئته وتربيته تربية صالحة . وثمة رواية يحتفظ بها صاحب المعجب تشير إلى هذا الدور الذى سلكه الأب فى تنشئة ابنه ، وقد جاءت الرواية على لسان ابن زهر نفسه ، فقال : « بينما أنا قاعد فى دهليز دارى وعندى رجل ناسخ أمرته أن يكتب لى كتاب الأغانى، فجاء الناسخ بالكراريس التى كتبها ، فقلت له : أين الأصل الذى كتبت منه لأقابل معك به ؟ قال : ما أتيت به ، فبينا أنا معه فى ذلك إذ دخل الدهليز علينا رجل بذ الهيئة ، عليه ثياب غليظة أكثرها صوف ، وعلى رأسه عمامة قد لاثها

---

(١) نفح الطيب ٣ : ٢١١ — ٢١٢ .

من غير إتقان لها ، فحسبته لما رأيته من بعض أهل البادية ، فسلم وقعد وقال لى يا بنى، استأذن لى على الوزير أبى مروان (يعنى والده) فقلت له :هو نائم هذا بعد أن تكلفت جوابه غاية التكلف حملنى، على ذلك نزوة الصبا وما رأيت من خشونة هيئة الرجل ، ثم سكت عنى ساعة ، وقال : ما هذا الكتاب الذى بأيديكما ؟ فقلت له : ما سؤالك عنه ؟ فقال : أحب أن أعرف اسمه، فانى كنت أعرف أسماء الكتب ! فقلت : هو كتاب الأغانى ، فقال : إلى أين بلغ الكاتب منه ؟ قلت : بلغ موضع كذا ، وجعلت أتحدث معه على طريق السخرية به والضحك على قالبه ، فقال : وما لكاتبك لا يكتب ؟ قلت : طلبت منه الأصل الذى يكتب منه لأعارض به هذه الأوراق ، فقال : لم أجىء به معى ، فقال : يا بنى خذ كراريسك وعارض ، قلت : بماذا ؟ وأين الأصل ؟ قال : كنت أحفظ هذا الكتاب فى مدة صباى ، قال : فتبسمت من قوله ، فلما رأى تبسمى قال : يا بنى أمسك على ، قال : فأمسكت عليه ، وجعل يقرأ ، فوالله إن أخطأ واوا ولا فاء ، قرأ هكذا نحواً من كراستين ثم أخذت له فى وسط السفر وآخره ، فرأيت حفظه فى ذلك كله سواء فاشتد عجبى ، وقمت مسرعاً حتى دخلت على أبى فأخبرته بالخبر ووصفت له الرجل ، فقام كما هو من فوره وكان ملتفاً برداء ليس عليه قميص ، وخرج حاسر الرأس ، حافى القدمين ، لا يرفق على نفسه ، وأنا بين يديه ، وهو يوسعنى لوماً ، حتى ترامى على الرجل وعانقه وجعل يقبل رأسه ويديه ويقول : يا مولاى أعذرنى، فوالله ما أعلمنى هذا الجلف إلا الساعة ، وجعل يسبنى ، والرجل يخفض عليه ويقول : ما عرفنى ، وأبى يقول : هبه ما عرفك ، فما عذره فى حسن الأدب . ثم أدخله الدار وأكرم مجلسه وخلا به فتحدثا طويلا ، ثم خرج الرجل وأبى بين يديه حافياً حتى بلغ الباب، وأمر بدابته التى يركبها فأسرجت، وحلف عليه ليركبنها

ثم لا ترجع إليه أبداً . فلما انفصل قلت لأبى : من هذا الرجل الذى عظمته هذ التعظيم ؟ قال لى : اسكت ويحك ! هـذا أديب الأندلس و إمامها وسيدها فى علم الآداب . هذا أبو محمد عبد المجيد بن عبدون ، أيسر محفوظاته كتاب الأغانى ، وما حفظه في ذكاء خاطره وجودة قريحته ؟ » (١) .

أرأيت كيف أنحى الأب باللائمة على ابنه لأنه لم يحسن استقبال الرجل ؟ وكيف كان احتفاؤه وترحيبـه به ؟ وبمثل هذا السـلوك القويم ، والخلق الكريم ، سار أبو بكر بن زهر الحفيد على نهج أبيه .

وتشير إحدى الروايات إلى أن الأب كان يتابع جهود ابنـه فى مجالات الأدب ، فكان يستمع إلى ما ينظمه من موشحات ، وعندما سمع موشحة ابن زهر التى يقول فيها :

وفده بأبى   نـم بى

عاق عليها بما يشير إلى خفة ظله ، وميله إلى النكتة والنادرة فقال: « يفديه بالعجوز السوء أمه ، وأما أنا فلا . . . ؟! » (٢) .

صـلاته :

حظى ابن زهر الحفيد بمنزلة رفيعة عند حكام الأندلس وبين الأندلسيين عامة ، فقد آلت إليه رياسة بلده وكان لا يعد له أحد من رجالات الأندلس فى الحظوة عند الأمراء » (٣) .

---

(١) المعجب ص ١٤٢ — ١٤٤ .
(٢) نفح الطيب ٣/٤٦٨ .
(٣) التكملة ٢/ص ٥٥٥ .

وقد أدرك ابن زهر دولة المرابطين، واستمر في الخدمة مع أبيه حتى انتهت دولتهم ، فاتصلا بالموحدين حتى مات أبوه في خلافة عبد المؤمن بينما ظل هو في خدمتهم فخدم عبد المؤمن ثم خدم من أبنائه : أبا يعقوب يوسف ثم ابنه يعقوب المنصور ثم ابنه الناصر .

وقد أبلى ابن زهر بلاء حسناً في خدمة الموحدين ولم تقف خدماته عند الاشتغال بالطب وحده بل امتدت لتشمل مجالات أخرى وتشير بعض الأخبار إلى مشاركته في الحياة العملية ، فيذكر ابن صاحب الصلاة أن الموحدين قد عهدوا بالإشراف على فنون جامع أشبيليه للطبيب ابن زهر[1] ، وعندما شيد الخليفة أبو يعقوب يوسف الموحدى الجامع الأعظم بأشبيلية الذى يعد أعظم منشآته ، كان من الحفاظ على البناء من أهل أشبيلية أبو بكر ابن زهر ، وأبو بكر الساقى [2] .

وعندما جاز المنصور البحر ، لخوض معركة الأرك ، وصل إلى أشبيليه ، ونزل بقصر البحيرة خارج باب جهور ، عهد إلى أبى بكر بن زهر وزملائه أشياخ المدينة بانزال الأشياخ والأكابر فى الدور المعدة لنزولهم [3] .

وقد حظى ابن زهر بمكانة رفيعة عند يعقوب المنصور ، فكان يعهد إليه بتصريف كثير من أمور الدولة . وكان يقدره ويثق به ويحرص على أن

---

(١) المن بالامامة ص ٦٦ .

(٢) عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس تأليف محمد عبد الله عنان القسم الثانى ، ص ٧٣ .

(٣) المرجع السابق ص ١٩٨ — ١٩٩ .

يكون بصحبته فى حله و ترحاله ، فكان يقضى وقته كله بمراكش حاضرة الخلافة وحدث أن تشوق إلى ولده الصغير الذى يقطن مع أسرته بأشبيليه فقال هذه الأبيات (١) .

ولى واحد مثل فرخ القطاة — صغــــير تخليت قلبى لديه
أحن إليه فيـــــاوحشتى — لذاك الشخيص وذاك الوجيه
تشــــوقنى وتشـــوقته — فيبكى على وأبكى عليـــه
وقـد تعب الشوق ما بينـا — فمنه إلى ومــــنى إليه

ولما سمع المنصور هذه الأبيات ، أرسل المهندسين إلى أشبيليه وأمرهم أن يحتاطوا علماً ببيوت ابن زهر وحارته ثم يبنوا مثلها بحضرة مراكش ، ففعلوا ما أمرهم فى أقرب مدة ، وفرشها بمثل فرشه ، وجعل فيها مثل آلاته ، ثم أمر بنقل عيال ابن زهر وأولاده وحشمه وأسبابه إلى تلك الدار ، ثم احتال عليه حتى جاء إلى ذلك الموضع ، فرآه أشبه شيء ببيته وحارته ، فاحتار لذلك ، وظن أنه نائم ، وأن ذلك أحلام ، فقيل له : أدخل البيت الذى يشبه بيتك ، فدخله ، فاذا ولده الذى تشوق إليه يلعب فى البيت فسر بذلك سروراً عظيما (٢) .

وثمة رواية أخرى تؤكد تلك المنزلة الرفيعة التى حظى بها ابن زهر الحفيد عند المنصور الموحدى ، فعند ما شن المنصور حملة عنيفة على كتب المنطق والفلسفة ، وأباد كثيراً منها باحراقها بالنار ، وشدد على المشتغلين بها وهدد

---

(١) زاد المسافر ٧١ — ٧٢ ، الوافى بالوفيات ٤/٣٩ .
(٢) نفح الطيب ٢/٢٤٩ .

بأنه متى وجد أحد ينظر في هذا العلم أو وجد عنده شيء من الكتب المصنفة فيه فانه يلحقه ضرر عظيم ، ولما شرع فى ذلك أسند هذه المهمة إلى الحفيد أبي بكر بن زهر وأنه الذى يتولى النظر فيه ، وتقول الرواية التى جاءت على لسان القاضى أبي مروان الباجى إن المنصور « أراد من ذلك أنه إن كان عند ابن زهر شيء من كتب المنطق والحكمة لم يظهر ولا يقال عنه إنه يشتغل بها ولا يناله مكروه بسببها ، ولما نظر ابن زهر فى ذلك وامتثل ، أمر المنصور بجمع الكتب من عند الكتبيين وغيرهم وأن لا يبقى شيء منها وإهانة المشتغلين بها وكان بأشبيلية رجل من أعيانها يعادى الحفيد أبا بكر بن زهر فعمل محضراً فى أن ابن زهر دائم الإشتغال بهذا الفن والنظر فيه وأن عنده فى داره شيئاً كثيراً من كتبه وجمع فيه شهادات عدة وبعث به إلى المنصور وكان المنصور حينئذ في حصن الفرج ، وهو موضع بناه قريبا من اشبيلية على ميلين منها صحيح الهواء ، بحيث بقيت الحنطة فيه ثمانين سنة لم تتغير لصحته ، وكان أبو بكر بن زهر هو الذى أشار على المنصور أن يبنيه فى ذلك الموضع ويقيم فيه فى بعض الأوقات ، فلما كان المنصور به وقد أتاه المحضر نظره ثم أمر بأن يقبض على الذى عمله وأن يودع السجن ففعل به ذلك وانهزم جميع الشهود الذين وضعوا خطوطهم فيه ثم قال المنصور إننى لم أول ابن زهر فى هذا إلا حتى لا ينسبه أحد إلى شيء منه ولا يقال عنه ، ووالله لو أن جميع أهل الأندلس وقفوا قدامى وشهدوا على ابن زهر بما فى هذا المحضر لم أقبل قولهم لما أعرفه فى ابن زهر من متانة دينه وعقله » (١) .

---

(١) طبقات الأطباء ٢ ٦٩ .

وظل ابن زهر يحظى بهذا التقدير عند الملوك والأمراء حتى بعد وفاته ، فحين التقى ابن الحفيد أبو محمد عبد الله بالخليفة الناصر بالمهدية بعد فتحها ، قال له : إننى يا أمير المؤمنين بحمد الله بكل خير من إنعامكم وإحسانكم على وعلى آبائى ، وقد وصل إلى مما كان بيد أبى من إحسانكم مايغنينى مدة حياتى وأكثر ، وإنما أتيت لأكون فى الخدمة كما كان أبى ، وأن أجلس فى الموضع الذى كان يجلس فيه بين يدى أمير المؤمنين ، فأكرمه الناصر إكراماً كثيراً وأطلق له من الأموال والنعم ما يفوق الوصف . وكان مجلسه إذا حضر قريباً منه فى الموضع الذى كان يجلس فيه والده الحفيد . فكان يجلس إلى جانب الخليفة الناصر الخطيب أبو عبد الله محمد بن الحسن بن أبى حجاج القاضى ، وكان يجلس تلوه القاضى الشريف أبو عبد الله الحسينى ، وكان يجلس تلوه أبو محمد عبد الله بن الحفيد أبو بكر بن زهر ، وكان يجلس إلى جانبه أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولى صاحب المقدمة المشهورة فى النحو المعروفة بالجزولية وكان هذا فى النحو يشتغل عليه أبو محمد عبد الله بن الحفيد ويجلس بين يديه ويتعلم منه (١) .

تلاميذه ومؤلفاته :

كان ابن زهر الحفيد ذا حظ وافر من اللغة والأدب، وقد أخذ عنه بعض المشاهير مثل أبى على الشلوبين (٢) وابن دحية صاحب « المطرب » وهو من أجل تلامذته وقد صحب ابن دحيه شيخه ابن ابن زهر زمناً طويلا واستفاد منه أدباً وعلماً جليلا واستجازه فى جميع تصانيفه وتصانيف أسلافه (٣).

---

(١) طبقات الأطباء ٢/٧٤ .

(٢) التكملة ٢/٥٥٥ .

(٣) المطرب ص ٢٠٧

وقد روى ابن رشيد فى رحلته قصة اللقاء الأول بين ابن دحية وشيخه ابن زهر فقال إن ابن دحية دخل إلى أشبيلية قادماً من بلنسية فجاء إلى جامع العدبس بها ، قال ابن دحية : « فجاءنى رجل فسألنى : من أين جئت ؟ قلت : رحلت من بلنسية فى طلب علو الرواية فى الحديث فقال هل تذكر شيئاً فى اللغة ؟ فقلت : هى بضاعتى . فقال ابن زهر : ما اسم البصل فى لغة العرب ؟ فقلت : الدونص فقال : وما شاهده ؟ فقلت له : قال الحجاج لطاهيه : أطبخ لنا عربربيه (١) وأكثر دونصها . قال : فولى عنى ثم أقبل ومعه مملوك بيده سبنية (٢) بثياب وقرطاس فيه مائة دينار فدفعها إلى وقال : استعن بهذا على طلب العلم . ثم قال : أنا ابن زهر ألفت كتاباً في الطب ذكرت فيه جميع الأعشاب بجميع الأسماء ، وعجزت عن اسم آخر للبصل بالعربية ، فالآن قد تم الكتاب ، ثم قال : هذا قليل فى حق مسألة من العلم »(٣).

وهذه الرواية تدل على تواضع ابن زهر وتقديره للعلم ، ويحتفظ ابن أبى أصيبعة برواية تشير إلى الطريقة المثلى التى كان ينتهجها ابن زهر فى تعليم تلاميذه ، فيذكر أنه قد أتى إليه اثنان من الطلبة ليشتغلا عليه بصناعة الطب ، فترددا إليه ولازماه مدة وقرآ عليه شيئاً من كتب الطب ثم إنهما أتياه يوماً وبيد أحدهما كتاب صغير فى المنطق ، وكان يحضر معهما أبو الحسين المعروف بالمصدوم ، وكان غرضهم أن يشتغلوا فيه ، فلما نظر ابن زهر إلى ذلك الكتاب قال : ما هذا ؟ ثم أخذه ينظر فيه ، فلما وجده فى علم المنطق رمى

---

(١) العربرب : حب السماق ، نوع من الشجر حامض الطعم .

(٢) السبنية : المنديل فى كدوة .

(٣) النبوغ المغربى فى الأدب العربى — تأليف عبد الله كنون ١٢٧/١ .

به ناحية ثم نهض إليهم حافياً ليضربهم وانهزموا قدامه إلى أن رجع عنهم عن مسافة بعيدة فبقوا منقطعين عنه أيـــاماً لايجسرون أن يأتوا إليه ، ثم إنهم توسلوا إلى أن حضروا عنده واعتذروا بأن ذلك الكتاب لم يكن لهم فيـه غرض أصلا وأنهم إنمـا رأوه مع حدث فى الطريق وهم قاصدون إليه فهزؤا بصاحبه وعبثوا به وأخذوا منه الكتاب قهراً وبقى معهم ودخلو إليه وهم ساهون عنه فتخادع لهم وقبل معـذرتهـم ، واستمروا فى قراءتهم عليـه صناعة الطب . ولمـــا كان بعد مديدة أمرهم أن يجيدوا حفظ القرآن وأن يشتغلوا بقراءة التفسير والحديث والفقـه وأن يواظبوا على مراعاة الأمـور الشرعية والإقتداء بهـا ، ولايخلو بشىء من ذلك ، فلمـا امتثلوا أمره واتقنوا معرفة ما أشار به عليهم وصارت لهم مراعاة الأمور الشرعية سجية وعادة قد ألفوها كانوا يوماً عنده وإذا بهقد أخرج لهم الكتاب الذى كان رآه معهم فى المنطق وقال لهم : الآن صلحتم لأن تقرؤا هـذا الكتاب وأمثاله على وأشغلهم فيه (١).

وكان لابن زهر تصانيف حملها الناس عنه ومن تصانيفه فى الطب رسالة فى « طب العيون » و « الترياق الخمسينى الذى ألفه للمنصور الموحدى (٢).

وفاته :

أغلب من ترجموا لابن زهر يجمعون على أن وفاته كانت سنة ٥٩٥ هـ فيما عدا ابن أبى أصيبعة الذى يذكر أن وفاته كانت سنة ٥٩٦ هـ (٣).

---

(١) طبقات الأطباء ٢/٦٩ — ٧٠ .
(٢) نفسه ٢/٦٨ .
(٣) نفسه ٢/٦٨ .

وقد انفرد ابن أبى أصيبعة برواية تحكى قصة وفاة ابن زهر الحفيد فذكر أن أبا زيد عبد الرحمن بن يوجان وزير المنصور كان يعادى الحفيد أبا بكر ابن زهر ويحسده لما يرى من عظم حاله وعلو منزلته وعلمه، فاحتال عليه في سم صيره مع أحد من كان عند الحفيد بن زهر فقدمه إليه فى بيض وكانت مع الحفيد أيضاً بنت أخته فلما أكل الحفيد من ذلك البيض وبنت أخته ماتا جميعاً ولم ينفع فيهما علاج، وتضيف الرواية أن ابن يوجان لم يمت إلا مقتولا إذ قتله بعض أقاربه (١).

أبناؤه :

لا نعرف لابن زهر الحفيد إلا ولداً واحداً هو أبو محمد عبد الله الذى سبق أن أشرنا إلى المكانة التى احتلها عند الناصر بعد وفاة والده .

وقد وصف أبو محمد هذا بأنه « كان جيد الفطرة ، حسن الرأى ، جميل الصورة ، مفرط الذكاء ، محمود الطريقة ، محباً للبس الفاخر . وكان كثير الاعتناء بصناعة الطب والنظر فيها والتحقيق لمعانيها ، واشتغل على والده ووقفه على كثير من أسرار علم هذه الصناعة وعملها ، وقرأ كتاب النبات لأبى حنيفة الدينورى على أبيه وأتقن معرفته . وكان الخليفة محمد الناصر يرى له كثيراً ويحترمه ويعرف مقدار علمه وبيوتته » (٢).

وقد ولد أبو محمد بن الحفيد سنة ٥٧٧هـ بمدينة اشبيلية ، ويقال إنه توفى مسموماً مثل والده فى سنة ٦٠٢هـ فى مدينة سلا ودفن بها وكان متوجها إلى مراكش فاخترمه الأجل دونها ثم حمل من الموضع الذى دفن فيه إلى اشبيلية

(١) طبقات الأطباء ٢/ ٧٠ .

(٢) نفسه ٢/ ٧٤ .

ودفن عند آبائه بأشبيلية خارج باب الفتح فكانت مدة حياته خمساً وعشرين سنة (١).

وقد أنجب أبو محمد ولدين أحدهما يسمى أبا مروان عبد الملك ، والآخر أبا العلاء محمد الذى اعتنى بصناعة الطب وكان له نظر جيد فى كتب جالينوس . وقد أقاما فى أشبيلية حتى وفاتهما (٢).

---

(١) طبقات الاطباء ٢/٧٤ – ٧٥ .
(٢) نفسه ٢/٧٥ .

الفصل الثالث

موشحات ابن زهر

المضمون

تمهيد :

يتفق المؤرخون على أن الموشحات فن ولد وتخلق فى بيئة الأندلس ، فابن بسام يذكر أن أهـل الأندلس « هم الذين نهجوا طريقتها ، ووضعوا حقيقتها »(١). ويصف ابن دحية الموشحات بأنها « من الفنون التى أغرب بها أهـل المغرب على أهل المشرق ، وظهروا فيها كالشمس الطالعـة والضياء المشرق» (٢). ويقول ابن خاتمة في كتابه « مزية المرية » نقـلا عن أزهار الرياض « وهـذه الطريقة ـ أى الموشحات ـ من مخترعات أهل الأندلس ومبتدعاتهم الآخذة بالنفس. وهم الذين نهجوا سبيلها ووضعوا محصولها »(٣).

ويؤكد ابن خلدون هذه الحقيقة فيقول : « وأما أهل الأندلس ، فلما كثر الشعر فى قطرهم ، وتهذبت مناحيه وفنونه ، وبلغ التنميق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون منهم فناً ، سموه بالموشح » (٤) .

وتتردد هـذه الحقيقة أيضا في كتابات المشارقة ، فابن سناء الملك يصف الموشحات بأنها « مما ترك الأول للاخر ، وسبق بها المتأخر المتقدم ، وأجلب بها أهل المغرب على أهل المشرق » (٥) . ويقـول المحبي « إن أول من نظم الموشح المغاربة » (٦) .

---

(١) الذخيرة ق ١ م ٢ ص ١ .
(٢) المطرب ص ٢٠٤ .
(٣) أزهار الرياض ١٢٣/٢ .
(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٥٨٣ ط . بولاق .
(٥) دار الطراز ص ٢٣ .
(٦) خلاصة الأثر ١٠٨/١ .

وقد آثرنا أن نورد هـذه الآراء كلها لأن موشحة ابن زهر التى يقـول في مطلعها : (١) .

أيها الساقى إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع

هـذه الموشحة نسبت خطأ إلى ابن المعتز (ت ٢٩٥ هـ) وخطورة هـذا الموضوع أن بعض الباحثين زعموا أن ابن المعتز هو أول من ابتكر الموشحات وأن هذا الفن نشأ أولا فى المشرق ثم انتقل إلى الأندلس . وممن وقعوا فى الوهم المرحوم كامل كيلانى ، فهو يقول : (٢) « لو لم يخترع الأندلسيون هذا الفن المسمى بالموشحات لاخترعه الشرقيون ، فقد كان حتما أن يؤدى الغناء ومجالسه فى الشرق إلى نفس النتيجة التى انتهى إليها فى الأندلس ... وفى موشحة ابن المعتز الرائعة ... أكبر دليل على صحة ما نقول ، فقد أنشأ ابن المعتز تلك الموشحة الفذة فى القرن الثالث ، أى فى نفس القرن الذى اخترع فيه مقدم بن معافر الفريرى (٣) موشحـاته فى الأندلس ... ولعل أغرب ما نذكره بهذه المناسبة إغفال مؤرخى الأدب جميعـا ذكر هذه الموشحة التى قالها ابن المعتز ، كأن هذا الحدث الجلل الذى ترك أوضح الأثر فى البلاغة العربية أقل خطراً من اهتمام ابن المعتز بالمحسنات البديعية » .

وينساق د صفاء خلوصى وراء هذه الفكرة الخاطئة فيقول : (٤) « ونحن

---

(١) طبقات الأطباء ٢/٧٣ .

(٢) نظرات فى تاريخ الأدب الأندلسى ص ٢٧٢ — ٢٧٣ .

(٣) كذا فى الأصل ، وصوابها مقدم بن معافى القبرى .

(٤) فن التقطيع الشعرى والقافية ، تأليف د. صلاح خلوصى ، ٣٠٢ .

ممن يعتقدون بأنه ـ أى الموشح ـ فن نشأ فى المشرق ، ولـكنه تطور فى المغرب ، وبلغ ذروته فى القرنين السابع والثامن للهجرة ، وباعتقادنا أنه ظهر أول ماظهر فى العراق ، وأن أول موشحة فى تاريخ الأدب العربى هى موشحة « أيها الساقى ... » وفيها كما يرى الفاحص المدقق ـ نفس أمير ، وإبداع رجل متفنن » .

وقد تصدى نفر من الباحثين للرد على هذه المسألة وتفنيد ما أثير حولها من مزاعم وشكوك ، نذكر منهم د. أحمد هيكل (١) ، عباس الجرارى (٢) ، د. محمد عبد المنعم خفاجى (٣) ، بطرس البستانى (٤) وغيرهم .

والواقع أن جميع الأدلة تؤكد أن موشح « أيها الساقى » لابن زهر وليس لابن المعتز ، فقد أجمعت مصادر عديدة ـ أندلسية ومشرقية ـ على نسبة هـذه الموشحه لابن زهر ، فقد نسبها له تلميذه ابن دحية (٥) ، وابن سعيد (٦) ، وابن الخطيب (٧) ، والصفـدى (٨) ، وياقوت الحموى (٩) ، وابن أبى

---

(١) الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة ص ١٥٢ .

(٢) موشحات مغربية ص ٤٥ ـ ٤٦ .

(٣) ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان ص ١٧٧ .

(٤) أدباء العرب فى الأندلس وعصر الانبعاث ص ٧٦ـ٧٧ .

(٥) المطرب ص ٢٠٤ .

(٦) المغرب ٢٦٧/١ .

(٧) جيش التوشيح ص ٢٠٢ .

(٨) الوافى بالوفيات ٢٠/٤ .

(٩) معجم الأدباء ٢٢/٧ .

أصيبعة (١) والنواجى (٢) ، كما ذكرها ابن سناء الملك في جملة ما اختاره من موشحات أهل الأندلس ، وإن كان لم ينسبها إلى قائل بعينه جريا على طريقته في عدم ذكر أصحاب الموشحات (٣) .

ومما يؤكد نسبة هذه الموشحة لابن زهر اتفاق المؤرخين على أن الموشحات فن أندلسي خالص . ولا يوجد أحد ممن ترجم لابن المعتز من القدماء ذكر أنه كان وشاحاً ، وحتى لو كان ذلك صحيحاً فلماذا لم يكثر منه ابن المعتز ، ولماذا يكون هو المشرقي الوحيد الذى ينفرد بهذا الفن دون أن يشاركه غيره من المشارقة فيه ؟

وفضلا عما ذكرنا فان موشحة « أيها الساقى » تحمل روح ابن زهر ، وتمثل خصائص فنه ، فلايشك من يطالع موشحاته بأنه صاحب هذه الموشحة بينما لاتحمل هذه الموشحة شيئا من سمات فن ابن المعتز ، وقد لاحظ ذلك د. خفاجي فقال : (٤) « وفى رأيى أن هذه الموشحة ليست لابن المعتز لأنها بعيدة عن روح الشاعر وعواطفه ولا تمثل شيئا من نظراته فى الحياة ولا فنه الأدبى فى نظم القريض ، وليس فيها تشبيه واحد من التشبيهات التى عرف بها ، وليس فيها شيء من خصائص فنه فى الشعر . وعندما تقرأها تجد أنك انتقلت إلى جو بعيد عن جو ابن المعتز الأدبى وسماته الفنية مما يجعلنا نحكم أنها ليست له

---

(١) طبقات الأطباء ٢/٧٣ .

(٢) عقود اللآل وورقه ٥ ظ (مخطوط الاسكوريال) .

(٣) دار الطراز ص ٧٣ .

(٤) ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان ص ١٧٧ .

وإنما نسبت إليه خطأ . وسمات الروح الأندلسية أظهر على هـذه للوشحة من أى روح أخرى » .

وهناك دليل آخر يضاف إلى ما ذكرناه وهو أن موشحة ابن زهر تسير على نمط موشحة أخرى لابن بقى (ت ٥٢٥ هـ) وتتشابه معها فى المعنى والوزن وقوافى الأقفال ، ويبدو أن ابن زهر كان يعارض ابن بقي الذى يقول فى مطلع موشحته (١) :

عبث الشوق بقلبي فاشتكى ألم الوجد فلبت أدمعى

فمعارضة ابن زهر لابن بقى الذى توفى قبله بسبعين عاما دليل آخر يؤكد أن ابن زهر صاحب هذه الموشحة .

ولكن كيف تسللت هذه الموشحة إلى ديوان ابن المعتز ؟

لقد حقق الديوان المطبوع عن نسخـة كانت توجد بالمكتبة الخديوية ، وهى نسخة غير موثقة فيما أظن ، ويبدو أنها كانت ضمن مجموعة من المؤلفات الأخرى التى تضم مجموعات شعرية فتسربت ورقة منها إلى ديوان ابن المعتز ، أو لعل وجودها فى ديوان ابن المعتز كان سـهواً أو تدليسـاً من ناسخ الديوان (٢) .

---

(١) ديوان الموشحات الأندلسية ٨٣/١ ٤ .

(٢) يذكر د. الجرارى أنـه وقف فى المكتبة الملكية بالرباط على نسخة ثانية من ديوان ابن المعتز لا توجد بها الموشحة المذكورة . وهى مكتوبة بخط مشرق ومؤرخة فى سنة خمسة عشر وألف وعليها تمليك باسم خليل فى سنة ١١٩١ م .

أنظر (موشحات مغربية) ص ٤٦ (هامش) .

وإذا كان المؤرخــون قد اتفقوا على أن الموشح فن أندلسى ، فانهم اختلفوا فى تحديد أول من اخترع الموشح ، فابن بسام يقول : (١) « أول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقنا ، واخترع طريقتها ـ فيما بلغنى ـ محمد ابن محمود القبرى الضرير . وقيل إن أبا عمر أحمد بن عبد ربه ـ صاحب كتاب العقد ـ أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات عندنا » .

أما الحجارى الذى كان معاصراً لابن بسام فيقول : (٢) « وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس، مقدم بن معافى القبرى،من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المروانى ، وأخذ عنه ذلك أحمد بن عبد ربه ـ صاحب كتاب العقد ـ ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر ، وكسدت موشحاتهما » .

وإذا كانت الروايتان تختلفان في البادىء باختراع الموشح ـ أهو مقدم ابن معافى أم محمد بن محمود وهما على أية حال من بليدة واحدة هي قبرة ـ فانهما تتفقان فى أن ابن عبد ربه ـ صاحب كتاب العقد ـ أخذ عنهما هذا الفن وقلدهما فيه ، والغريب أن يتردد اسم ابن عبد ربه عند اثنين من المؤرخين الثقات على أنه أحد الوشــاحين الأوائل الذين نظموا فى هذا الفن بينما يخلو كتابه ـ العقد ـ من أية إشــارات إلى هذا الفن أو إلى دوره فى ابتكار الموشح وإن كنا نستطيع أن نعلل هذه المسألة بأن كتــاب العقد لا يهتم إلا بأدب المشرق وأخبــاره ، وقد يكون ابن عبد ربه ممن أسهموا فعلا فى ابتكار هذا الفن ولكنه تحرج من ذكره أو إيراده خوفاً من انتقاد أصحاب

---

(١) الذخيرة ق ١ م ١ ص ٤٦٩ .

(٢) المقتطف ١٥٠ .

التيار التقليدى المحافظ الذين كانوا ينظرون بازدراء إلى هذا الفن الجديد بدليل أن ابن بسام أبى أن يدرج شيئاً من الموشحات فى كتابه « الذخيرة » مع اعترافه بأنها « أوزان تشق على سماعها مصونات الجيوب بل القلوب » [1] ومع ذلك فان اهتمام ابن عبد ربه الواضح بعلم العروض فى كتابه - العقد - وحديثه عن الدوائر والأبحر المستعملة والمهملة وعن الزحافات والعلل مما يمكن أن ينظر إليه فى إطار ما وصفه به ابن بسام والحجارى من أنه قلد الوشاح الأول فى هذا الفن .

وعلى أية حال فان هؤلاء الوشاحين الثلاثة - مقدم ومحمد بن محمود وابن عبد ربه - قد عاشوا فى حقبة واحدة وكانوا جميعا من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المروانى (٢٧٥ - ٣٠٠) أى أنهم تعاصروا فى أواخر القرن الثالث الهجرى ، وتلك هى الفترة التى نشأ فيها فن الموشحات .

ولكن ما هى الأسباب التى مهدت لظهور هذا الفن الجديد ؟ إن فريقاً من الباحثين يرى أن الموشحات « ما هى إلا تقليد لشعر غنائى عجمى » [2] . ويؤيد هذه النظرية بعض الباحثين الإسبان أمثال خوليان ريبيرا ومننديث بيدال ، وجارثيا جومث وغيرهم [3] ، كما يؤيدها بعض الباحثين العرب أمثال د . مصطفى عوض الكريم [4] ، وبطرس البستانى [5] وغيرهما .

---

(١) الذخيرة ق ١ م ١ ص ٤٦٩ .

(٢) فن التوشيح تأليف د . مصطفى عوض الكريم ص ١٠٧

(٣) نفسه ص ١٠٧ وما بعدها .

(٤) نفسه ص ١٠٩

(٥) أدباء العرب فى الاندلس وعصر الانبعاث ص ٨٠ وما بعدها .

وتقوم نظرية هؤلاء الباحثين على عدة حجج نجملها فيما يلى :

(١) إن الوشاحين الأندلسيين عندما قلدوا الشعر الغنائى العجمى، وحاولوا النظم على منواله، لم يكونوا هم وحدهم الذين فعلوا ذلك، وإنما شاركهم فى فى هذه الناحية يهود الأندلس عندما نظموا موشحات تشابه الموشحات العربية ولا سيما فى التزامها للخرجة الأعجمية (١)، ويرى جارثيا جومث أن وجود خرجة واحدة فى موشحة عربية وفى أخرى عبرية فى قصيدتين مختلفتين لشاعرين مختلفين يؤيد ما ذهب إليه من أن هذه الخرجات عبارة عن أغان قصيرة باللهجة الرومانسية التى كانت معروفة من قبل - أى قبل تضمينها فى الموشحات العربية والعبرية، ويرى أن الموشحات بنيت على أساس من هذه الأغانى (٢).

(٢) ومما يدل على أن الموشح أخذت فكرته من أغان أعجمية فى رأى هؤلاء الباحثين - عدم استطاعة المشارقة مجاراته إلا بتكلف شديد كما لاحظ ذلك إبن خلدون، وكما اعترف المشارقة أنفسهم، فلو كانت الموشحات تطويراً للتقفية أو للاوزان أو للاغانى المشرقية لاستطاع المشارقة أن يجاروا الأندلسيين وأن يبذوهم فى هذا الفن. (٣)

(٣) يرى هؤلاء الباحثون أن ازدراء أنصار الشعر التقليدى والعلماء للموشحات وترفعهم عن إيرادها فى مؤلفاتهم كما فعل ابن بسام وابن عبد ربه وعبد

---

(١) فن التوشيح ص ١٠٩.

(٢) نفسه ص ١٠٩.

(٣) فنه التوشيح ص ١١٠ - ١١١.

الواحد المراكشي دليل على أن هذة الموشحات لاترجع في نشأتها إلى أصل عربي .

(٤) يستدل أصحاب هذه النظرية على ما يرونه من أن الموشحات بنيت على أنغام عجمية كانت معروفة من قبل بدليـل آخر وهو أن أوزان هـذه الموشحات المستحدثة خارجة على أعاريض الخليل حسب زعمهم (١).

وقد أجهد هؤلاء البـاحثون أنفسهم فى التعرف على مصدر هـذه الأغانى القديمة التى رأوا أن الوشاحين تأثروا بها ، فذهب بعضهم إلى أنها تعود إلى أصول رومانية بعيدة (٢) ، وذهب آخرون إلى أن مصدرها جليقى حيث أن أكثر البيوت الأندلسية كانت تضم نساء من جليقية ، لأنهن عرفن أكثر من غيرهن بالجمال ، وكثير من المزايا الآخر ، وإن هؤلاء الجليقيات كن يغنين بلغتهن فى الحفلات ، ويهدهدن أطفالهن فى المنازل ، ويسرين عن أنفسهن في ساعات العمل . فمن الممكن أن تكون الموشحـات الأولى قـد تأثرت ببعض الأغنيات الجليقية القديمة» (٢) بل لقد ذهب أحد الباحثين الإسبان إلى أن بعض الأناشيد الدينية اليهودية مثل « البزمون Pizmon » كانت مصدر وحى لمخترع الموشحات . (٣)

والواقع أن هذه الآراء قابلة للجدل والمناقشة ، فالاحتجـاج الأول الذى يستدل بمشاركة الموشحات العبرية للموشحات العربية فى الخرجة الأعجميـة

---

(١) تاريخ الفكر الأندلسي ص ١٥٤ .

(٢) Julian Ribera ; Dtsertacions Y opuscios Vol. 1·
نقلا عن د. أحمد هيكل ، الأدب الاندلسي ، ص ١٤٨ .

(٣) الأدب الاندلسي ، د. أحمد هيكل ص ١٤٩ .

احتجاج ضعيف لأنه من الثابت لدى الباحثين أن الموشحات العبرية نشأت فى مرحلة تالية للموشحات العربية وكانت تقليداً كاملا لها فى المضمون والشكل(١) بل إن القول بأن الموشحات تأثرت ببعض الأغانى الرومانسية أمر لا نطمئن إليه لأنه لا يوجد بين أيدى الباحثين شيء من هذه الأغانى يمكن الاستدلال به على تأثر الوشاحين بها (٢) .

أما موقف بعض العلماء المحافظين من الموشحات ، وتحرجهم من إيرادها فى كتبهم فليس دليلا على أن هذه الموشحات نشأت نشأة أعجمية لأن موقفهم هذا يمثل الصراع بين القديم والجديد ، وتلك قضية معروفة فى كل عصر ، فقد نظر هؤلاء العلماء للموشحات على أنها خروج على التقاليد الأدبية المتوارثة ، وهكذا شأن كل جديد إذ يقف منه المحافظون موقفاً يتسم بالتوجس والتردد .

أما القول بأن الموشحات خارجة على العروض العربى فهو إحتجاج ساقط لأن كل محاولات التجديد التى قام بها الوشاحون كانت فى إطار العروض العربى (٣) بل إن الموشحات الأندلسية المختومة بخرجات أعجمية أو عامية لم تنظم على أوزان الشعر الأسبانى ، وإنما نظمت على أوزان عربية ، أو على أوزان مولدة من العروض العربى ، شأن الموشحات المختومة بخرجات معربة » . (٤)

---

(١) الادب الاندلسي ، د. مصطفى الشكعة ص ٣٨٥ .

(٢) الادب الاندلسى ، أحمد هيكل ١٤٨ .

(٣) أنظر فى ذلك كتاب « فى أصول التوشيح » للدكتور سيد غازى ص ٣٦ وما بعدها .

(٤) فى أصول التوشيح ص ٤٣ ـ ٤٤ .

ونحن نميل إلى النظرية الأخرى التي يرى أصحابها أن الموشحات نشأت متأثرة بالأنماط العربية الوافدة من المشرق كالمسمطات والمخمسات ثم مضت بعد ذلك تتطور فى بنائها ويتزعم هذه النظرية نفر من المستشرقين أمثال نيكل (١)، وهارتمان (٢)، كما يؤيدها فريق من الباحثين العرب أمثال د. شوقى ضيف (٣)، د. سيد غازى (٤)، د. مصطفى الشكعة (٥) وغيرهم.

ولكننا لا نعد هذا المؤثر المشرقى هو السبب الوحيد لابتكار الموشحات بل نضيف إليه أسباباً أخرى تتصل فى معظمها بالبيئة الأندلسية والمؤثرات الأندلسية المحلية، فقد كان لازدهار الغناء والموسيقى وتطورهما على أيدى زرياب وتلاميذه أثر لا ينكر في ابتكار هذا الفن كما نتفق مع أستاذنا د. هيكل فى أن مخترعي الموشحات إنما أفادوا من أغنيات أندلسية محلية، واستوحوا بعض الأغانى الأندلسية الشعبية التى لم يسجلها المؤرخون، ويؤيد هذا أن العادة جرت بين الوشاحين على أن يمهدوا للخرجات بمثل قولهم «غنت» (٦).

وهذه المؤثرات الأندلسية المحلية التى تأثر بها وشاحو الأندلس تفسر السبب فى نشأة الموشحات فى الأندلس بالذات قبل المشرق، كما تفسر لنا تكلف المشارقة فى نظم الموشحات وعدم مجاراتهم للأندلسيين فى هذا الجانب، وقد

(١) فن التوشيح ص ١٠٩ .

(٢) عن الزجل فى الاندلس تأليف الدكتور عبد العزيز الأهوانى ص ٥ .

(٣) مقدمة فن التوشيح ص ٨ .

(٤) فى أصول التوشيح ص ٣٧ .

(٥) الأدب الأندلسي تأليف د. الشكعة ص ٢٨٥–٢٨٦ .

(٦) الأدب الأندلسي تأليف د. أحمد هيكل ص ١٤٩ .

تنبه ابن سناء الملك لهذه الحقيقة عندما قال : (١) « وكيفما كان لموشحاتى تكون لتلك الموشحات (الأندلسية) كظلها وخيالها ، وأشهد أنها ناقصة عن قدر كما لها .. واعذر أخاك فإنه لم يولد بالأندلس ولا نشأ بالمغرب ، ولا سكن باشبيلية ، ولا أرسى على مرسية » .

فالذى فعله الوشاح الأول أنه استوحى بناء موشحته من المسمطات المشرقية التى تتنوع فيها القوافى ، وتتعدد فيها الأشكال والأنماط ، وقد وقف الوشاح الأول على هذه المحاولات ، فتأثر بها ، وبنى عليها شكل موشحته ، ولعلها كانت شبيهه فى بداياتها الأولى بالشعر المسمط ثم تطورت بعد ذلك في بنائها على أيدى أجيال أخرى من الوشاحين ، وقد أشار إلى ذلك ابن بسام فقال : (٢) « إن صناعة التوشيح التى نهج أهل الأندلس طريقتها ، ووضعوا حقيقتها كانت غير مرقومة البرود ، ولا منظومة العقود ، فأقام عبادة (ابن ماء السماء) منآدها ، وقوم ميلها وسنادها ، فكأنها لم تسمع بالأندلس إلا منه ، ولا أخذت إلا عنه » .

وكما أفاد الوشاح الأول فى بناء موشحته ـ من المسمطات المشرقية ، فقد تأثر كذلك ببعض الأغانى المحلية الشائعة ، فاقتبسها وطوعها للعروض العربى ، وبنى عليها خرجته على سبيل التظرف والطرافة ، وليس هذا شيئاً مستحدثاً ، فقد سبق إليه من قبل أبو نواس وغيره عندما كانوا يضمنون قصائدهم ألفاظاً فارسية وغير فارسية ولكنهم لم يكونوا على وعي بمفهوم الخرجة على النحو الذى نعهده فى الموشحات الأندلسية .

---

(١) دار الطراز ص ٣٩ .

(٢) الذخيرة ق ١ - ١ ص ٤٦٩ .

موضوعات

موشحات ابن زهـــر

الغــزل

الغزل هو الموضوع الرئيسى الذى تدور حوله موشحات ابن زهر ، فهو يستأثر بما يقرب من ست عشرة موشحة من مجموع موشحات التى سلمت من عوادى الزمن والتى تبلغ خمساً وعشرين موشحة . أما موشحاته الأخرى فيختلط فيها الغزل بالخمر أو المدح وينفرد القليل منها بموضوعات أخرى .

واستئثار الغزل بمعظم موشحات ابن زهر يدل على أنه لم ينظم الموشحات بغية التكسب أو الإرتزاق وإنما نظمها استجابة لطبعه ، وتعبيراً عن أحاسيسه ونوازعه ، ولذلك ابتعد فيها عن التكلف والتعقيد، وآثر السهولة والوضوح، وقــد لاحظ ذلك من قبل أستاذنا المرحوم الدكتور عبد العزيز الأهوانى فقال (١) : « وربما كانت ظروف ابن زهر تختلف كثيراً عن ظروف زملائه الوشاحين ، فهو صاحب ثقافة علمية ، وهو من أسرة لم تضطرها الحاجة إلى التكسب بالشعر أو التوشيح ، فكأنه كان يعبر فى موشحاته عن ذات نفسه ، فمال به ذلك إلى البساطة وحسن الأداء » .

وتتميز موشحات ابن زهر الغزليـة بطابع غنائى خالص ، ولانشك فى أن أكثرها كان مما يتغنى به ، وكأن ابن زهر عاد بالموشح إلى طبيعته الأولى حيث نشأ وتخلق فى بيئات المغنين ، وحيث كان الغناء أحـد الأسباب الهـامة التى أدت إلى ابتكار الموشح وازدهاره . وقـد أشار ابن بسام إلى ارتبـاط

---

(١) من مقال بعنوان (فن التوشيح) لأستاذنا الدكتور عبد العزيز الأهوانى ورد فى كتاب (حركات التجديد فى الأدب العربى) ص ٩١.

الموشح بالغزل فقال : (١) « وهى أوزان كثر استعمال أهل الأندلس لها في الغزل والنسيب ، تشق على سماعها مصونات الجيوب ، بل القلوب » .

وموشحات ابن زهر الغزلية ممـا ينطبق عليها وصف ابن بسام ، فقد صاغها فى سهولة ويسر ، ونأى بهـا عن الصنعة والتعقيد ، ووفر لها مايلائم الغناء . وفى ذلك يقول الدكتور مصطفى الشكعة : (٢) « إن ابن زهرلا يكاد يكابد مشقة فى نظم توشيحه أو هكذا يبدو لنا على الأقل ، وهو شعور قلما نحسه عند غيره ، فالرجل يقول التوشيح وكأنه ينظم قصيداً ناعمـاً مستريحاً غير مكابد ولا متصنع ولا تعب ، بل هو يرسم ويصور ويجانس ويستعير ويضرب في آفاق الصناعة غير الثقيلة بأسهم مصيبة ، وبأنصبة عديدة وفيرة ، الأمر الذى يستحق من أجله أن يكون سيد الوشاحين وشيخهم ، إذ ربمـا كان أول وشاح ينقل روح الشعر إلى جسم الموشحة ، فيخفف من أثقال صناعتها ، ويلين من صلابة بنيتها » .

إن أهم مايتميز به ابن زهر أنه طوع الموشحات للتعبير عن ذاته ، فلم يهتم بالشكل على حساب المضمون كما فعل كثير من الوشاحين ولم ينظر للموشح على أنـه مجال لإظهار صنعة الوشاح اللفظية والعروضية ولذلك نراه يؤثر أبسط أنماط البنية ويطوعها لتصوير مشاعره وانفعالاته ، وتلك ميزة يكاد ابن زهر ينفرد بها عن غيره من الوشاحين.

ويذكرنا غـزل ابن زهر بقصائد الغزل العذرى ، فهو يسلك مسلك

---

(١) الذخيرة ق ١ م ٢ ص ١ .

(٢) الأدب الأندلسى ، موضوعاته ، وفنونه ، ص ٤٢٠ .

العذريين ، ويردد معانيهم ، فيصف معاناته ، ويتحدث عن ذل الهوى ، وعذاب العشق ، ويكثر من الشكوى وتصوير الوجد والهيام كقوله : (١) .

هام قلبي في معذبه
وأنا أشكو لمطلبه
إن كتمت الحب مت به
وإذا ما صحت واكبدا فرح الأعداء وانتقدوا

* * *

مقلة جادت بما ملكت
عرفت ذل الهوى فبكت
وشكت مما بها ورثت
وفؤادي هائم أبد ما عليه للسلو يد

* * *

إن عيني لا أذنبها
أتبعت قلبي وأتعبها
لنجوم بت أرقبها
رمت أن أحصى لها عددا وهي لا يحصى لها عدد

وتراه في موشحة أخرى يلقب نفسه بشهيد الحب جرياً على طريقة أصحاب الغزل العذري ، فيقول : (٢) .

(١) طبقات الأطباء ٢/٧١ .

(٢) جيش التوشيح ص ٢٠٩ .

أخت السماك ... شوقى إليك شديد ... آه من قلبي
أما هـواك ... فثابت ويزيد ... الهوى حسبي
على نـواك ... إنى هناك شهيد ... معرك الحب
يـا من أضـله ... عن الصواب فريق ... قولهم بهتـان
بل ليس تدرى ... أن العذول حقيق ... منك بالهجران

وتقترن المعانى العذرية عنده بترديد الأوصاف والرموز والصور البدوية القديمة كقوله (١)

من لصب غدا مشوق
ظل فى دمعـه غريق
حين أموا حمى العقيق
واستقلوا بـذى الغضا أسفى يوم ودعوا

ويقتدى ابن زهر فى غزله بذى الرمة فى كلفه وعشقه بل إنـه يرى أنه يفوقه غراماً وهياماً ، فيقول : (٢)

يا من لديه ... حسن الملاح حقير × ... كلما تاهوا
ومن عليه ... حرب الموالى يسير × ... حين تلقاه
ومن إليه ... أشكوالهوى ويجور × ... حسبي الله
ياخير جمله ... فيك الجمال أنيق × ... والصبار يـان
أنا لعمرى ... فى مقلتيك أفوق × ... فى الهـوى غيلان

---

(١) العذارى المائسات ص ٩٦ .
(٢) ديوان الموشحات الأندلسية ، د. غازى ٨٢/٢ .

وتحتل المرأة مكانة سامية فى غزل ابن زهر ، وقد وصل فى علاقته بالمرأة إلى حد التذلل والعبودية حتى إنه لايجد حرجاً في تقبيل نعل صاحبته إعظاماً لها وإكباراً ، كما يتضح فى قوله : (١)

لو أجاز حكمى عليه
لاقترحت تقبيل نعليه
لا أقول ألثم خديه
أنا من يعظم والله مقداره
ويلزم إكباره

ويتميز غزلة ابن زهر بالرقة والشفافية والعذوبة ، وهى سمات نلمحها فى موشحاته ، وتطبعها كلها بطابع مميز ، ويمكن أن نلمس ذلك فى قوله :(٢)

لا أسمي حبيبي
خوف واش رقيب

يا عليم الغيوب
أنت تدرى الذى بى
قلبي المستطار
خانه الاصطبار فباحا

* * *

(١) جيش التوشيح ص ٢١١ .
(٢) نفسه ص ١٩٨ .

إن نـأوا بفؤادى
وتوخوا بعادى
وأزاحوا رقادى
يا إله العبـاد
لقهم حيث ساروا
أنجدوا أم أغاروا نجاحا

ويصور ابن زهر فى بعض موشحاته كلفـه بمغنية أو ساقية كما يبدو فى قوله : (١)

أيها الباكى على الطلل
ومدير الراح بالأمل
أنا من عينيك فى شغل
فدع الدمع السفوح سدى وضرام الشوق تتقد

ويستمد ابن زهر أوصافه للمرأة من صور الطبيعة والخمر كقوله :(٢)

ملك له جنود من طرفه الكحيل
ألحاظـه ترود فى هذه العقول
وريقة البرود وخـده الأسيل
راح تقـل فلجـا كالدر فى الحور
ونور جلناره فى سوسن نضير

(١) طبقات الأطباء ٢/٧٣ .
(٢) ديوان الموشحات ٢/٦٦ .

ويقترب ابن زهر فى غزله من سبحات الصوفية بما يشيع فيه من وجد وشفافية وتهويمات كما يبدو فى قوله :(١)

يا غائباً لا يغيب
أنت البعيد القريب
كم تشكيك القلوب
أثخنتهن جراحا
فاترك سهام الجنون

وربما ظهر أثر اشتغال ابن زهر بالطب فى موشحاته الغزلية ، ونستطيع أن نلمس ذلك من عدة وجوه ، فمن ذلك قدرته الفائقة على تشخيص حالته ومزج ذلك بالصور المستمدة من صناعته ، ومما يصور ذلك قوله :(٢)

بت بين الدمع والسهد
واضعاً كفى على كبدى
ويدى الأخرى تشد يدى
وتراءى الموت فى صور   غير أن لم يبلغ الأجل

ونستطيع أن نلمس ذلك أيضاً فى إكثاره من الرموز والصور والإشارات والألفاظ المتصلة بمهنة الطب كقوله :(٣)

---

(١) المغرب ٢٧٩/١ .
(٢) ديوان الموشحات ٧٧/٢ .
(٣) نفسه ٢ / ٨١ــ٨٢ .

قلب قريح	وفى الفؤاد كلوم ×	أبداً تـدمى
ويا مشيح	إلى متى تستديم ×	جسمى سقما
ويا نصوح	أهدى إليك الملوم ×	أذنـاً صما
أطلت عذله	وما أراك تطيق ×	رده عن شـان
وأى نكر	أن يستلام مشوق ×	عذره قد بان

قـد يقول قائل إن شعراء الغزل يتطرقون فى قصائدهم إلى مثل هـذه الأوصاف ولكن إكثار ابن زهر منها وترديده لها ، وإلحاحه عليها فى مواضع كثيرة يقوى لدينا الظن بأنها انعكاس واضح لاشتغاله بالطب ، وتتردد هذه الإشـارات فى قوله :(١)

صار بالدل فؤادى كلفا
وجفون ساحرات وطفـا
كلمـا قلت جوى الحب انطفا
أمرض القلب بأجفان صحاح
وسبي العقل بجد ومزاح

ونقع على هذه الإشارة الواضحة فى قوله :(٢)

بـرد جوى فى كبدى	واعطف اظمآن صدى
يا من سبانى رشدى	وبـز نفسى جلدى
تـالله ما فى جسدى	موضع لمس ليد

(١) معجم الأدباء ١٨/٢٢١ م .
(٢) جيش التوشيح ص ٢١٠ .

إلا سقام ونحول لم يبق لى ولاتركـ
جاوزت حد البشر يا مهجتى ما أصبرك

وتتردد لفظة (الطبيب) فى موشحاته غير مرة كقوله :(١)

قتلتنى وأنت الطبيب
فأنت لى عدو حبيب

وقوله فى موشحة أخرى : (٢)

كذا أذوب ولايزال الغليل × جسدى يضنى
فر الطبيب من علتى ويقول × أين هو منى

وثمة ظاهرة أخرى نلحظها فى غزل ابن زهر وهى حرصه على لف كثير من أدواره أو أبياته الغزلية بما يشبه الحكمة أو المثل، وهي ظاهرة تترددفى غير موشحة ، فنراه ينهى هذا البيت التوشيحى بقوله :(٣)

يا من أعانقه بأحناء الضلوع
وأقيمه بدلا من القلب الصديع
أنا للغرام وأنت للحسن البديع
وكلام اللائم × شىء يمر مع الرياح

ويقول فى موضع آخر :(٤)

---

(٢) جيش التوشيح ص ٢٠٨ .
(٣) نفسه ص ٢٠٧ .
(١) طبقات الاطباء ٢/٧٢ .
(٢) جيش التوشيح ص ١٩٩ .

علقته ما شئت من حسن بديع
أودى بقلبي واستنام إلى ضلوعي
فأقامها فى موضع القلب الصديع
شيم الحب تكليف ما لا يستطاع

وفى موشحة ثالثة ينتهى البيت بهذه الحكمة البسيطة البديعة : (١)

واغتنم حين أقبلا
وجه بدر تهللا
لا تقل بالهموم لا
كل ما فات وانقضى ليس بالحزن يرجع

وقد يأتى المثل أو الحكمة عنده فى مطلع الموشحة كقوله :(٢)

مسلم الأمر للقضا فهو للنفس أنفع

واهتمام ابن زهر بهذا الجانب يجعل موشحاته قريبة من حياة الناس ومن تفكيرهم ولغتهم السهلة المألوفة ، وقد تميزت موشحات ابن زهر بهذه الخاصية لأنها كانت تنظم أساساً للغناء ، فطبيعى أن يوفر لها كل ما يناسب الغناء من مقومات ، ونستطيع أن نلمس ذلك حتى فى مطالع موشحاته الغزلية ، فهذه المطالع تكشف الفكرة التى يتناولها الوشاح ، وهى ترتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوع الموشحة مما يكسب موشحاته ميزة التلاحم والانسجام ، ويتميز

(١) العذارى المائسات ص ٩٦ .

(٢) نفسه ص ٩٦ .

كثير من هـذه المطالع بالقوة والعمق والاهتمام بالبعد الإنساني كقوله فى مطلع موشحة :(١)

جنت مقل الغزلان جنايا الشمول
على عالم الإنسان جيلا نخيل

ويتوافر فى بعض مطالعه ما يمكن أن نسميه عنصر التشويق أو المفاجأة كقوله فى مطلع موشحة : (٢)

زعمت أنفـاسى الصعدا أن أفراح الهوى نكد

إن موشحات ابن زهر الغزلية تتميز بقدر كبير من الصدق العاطفى ، وحرارة الانفعال ، وتلك سمة نكاد نفتقدها فى كثير من الموشحات الأندلسية لانشغال أصحابها بعملية الزخرفة والبناء ، ومن ثم فان أهم ما يتميز به ابن زهر أنه عاد بموشح الغزل إلى طبيعته وقارب بينه وبين القصيدة الغزلية من حيث البساطة والصدق والوضوح ، فمثل بذلك أجمل ما فى الغزل بالقياس إلى وشاحى الأندلس .

بقى أن نذكر أن لابن زهر موشحتين فى الغزل الغلمانى ، وقد عرفت الموشحات هذا اللون من الغزل الذى تردى فيه بعض أصحاب الشعر التقليدى ، وكان وجوده انعكاساً لشيوع تيار اللهو والمجون وانتشار مجالس الخمر التى كانت تعج بالغلمان والسقاة ، ويردد ابن زهر فى موشحتيه أسماء بعض الغلمان ، ويصف محاسنهم مردداً بعض المعانى والأوصاف التى استعملها شعراء هذا اللون من الغزل .(٣)

(١) المغرب ص ٢٦٩/١ .
(٢) طبقات الأطباء ٧١/٢ .
(٣) أنظر هاتين الموشحتين فى ديوان الأندلسية ١٠١/٢ ، ١٢٠/٢ ،

الخمريات

يأتى وصف الخمر فى المرتبة الثانية بعد الغزل فى موشحات ابن زهر ، ولعلنا لا نسرف فى القول إذا قلنا إن موشحاته الخمرية تعد من أرق ما قيل فى هذا الباب .

وهو لا يعالج موضوع الخمر منفصلا عن غيره من الموضوعات ، فليس فى موشحاته موشحة واحدة تستأثر وحدها بوصف الخمر ، ولكنه يعالج الخمر فى إطار بعض الموضوعات الأخرى ، وهى ظاهرة نلحظها فى موشحات الخمر عموماً ، فالخمر عنده تمتزج دائماً بالغزل ، وقد تمتزج بالغزل والطبيعة معاً وله موشحة واحدة ترتبط فيها الخمر بالمدح . (١)

وتتوثق الصلة بين الخمر والغزل فى موشحات ابن زهر بصورة واضحة، فالخمر تبرز فى مجال التذكر واسترجاع الماضى المنصرم كقوله فى إحدى موشحاته : (٢)

يا من تعاطينـا الكئوس على ادكاره
وقضى على قلبي فلم يأخذ بثاره
وأقر أحكام القصاص على اختياره

إن أقل حسبي   فالجور تأباه الطباع

---

(١) جيش التوشيح ص ١٩٧ .

(٢) نفسه ١٩٨ـ١٩٩ .

والهوى والخمر فى نظر ابن زهر صنوان لا ينفصلان ، كما يبدو فى قوله : (١)

هل فى الهـوى من جناح
أو فى نديم وراح

رام النصوح صلاحى
وكـيف أرجو صلاحا بين الهوى المجون

وتسيطر على موشحاته الخمرية هذه الثنائية بين الحب والخمر ، أو بين عنصرى الماء والنار مما يتضح في قوله : (٢)

يا أخى قد نبذت سلطانى وخلعت العذار
إنما أضلعى وأجفانى بين ماء ونار
رب إن الهوى تولانى رب أين الفرار
جملة الأمر أننى هائم بغزال مليح
فدع العاذلين لا كانوا إن حبي صحيح

ويبدو ابن زهر كلفاً بالخمر ، مفتوناً بها ، فهى تستهويه بأريجها الفواح، ولذلك فهو يستحضرها ويهتف بها فى كل وقت كقوله : (٣)

---

(١) جيش التوشيح ص ٢٠٠ .
(٢) العذارى المائسات ص ٥٦ .
(٣) نفسه ص ٥٦ .

نبه الصبح رقدة النائم فانتبه للصبوح
وأدر قهوة لها شان ذات عرف يفوح

* * *

يا حميا الكئوس لاجفت منك أرض الكريم
ولك الخير كلما التفت ورقات الكروم
ولعمرى لنعم ما جفت ببنان النديم
هاتها قبل بكرة اللائم ورواح النصيح
وأدر إن العذول شيطان يغتـدى ويروح

وحين تستثيره الطبيعة وتتجلى أمامه بمفاتنها يهتف بالصهباء التى تحاكى فى لونها لون الشمس عند الشفق (١)

فتق المسك بكافور الصباح
ووشت بالروض أعراف الرياح

* * *

فاسقنيها قبـل نور الفلق
وغناء الورق بين الورق
كاحمرار الشمس عند الشفق
نسـج المزج عليها حين لاح
فلك اللهو وشمس الإصطباح

---

(١) نفح الطيب ٢/٢٥٢ ـ ٢٥٣ .

ولابن زهر أوصاف بديعة فى الخمر يعتمد فيها على تجسيد المعانى وتشخيصها فالخمر تمزق رداء الليل ، والابريق يغنى ، والكأس يستمتع بهذا الغناء الشجى : (١)

صفراء بنت دن بالنور تطلع
ينشق كل دجن عنها وينصدع
إبريقها يغنى والكأس يستمع
ولا تزال ترجى للحادث النكير
للهم إن أثاره بين الحشا مثير

وتبدو صورة الساقى أو الساقية بوضوح فى موشحات ابن زهر ، وهو يدير عليها أغلب غزله ، فمن ذلك قوله : (٢)

واصطبح بابنة الكروم
من يدى شادن رخيم
حين يفتر عن نظيم
فيه برق قد أومضا ورحيق مشعشع

ومن أجمل موشحات الخمر وأشهرها موشحة ابن زهر التى يتغزل فيها فى الساقى ويصفه وصفاً بديعاً يدل على مهارة واقتدار ، وفيها يقول :(٣)

---

(١) جيش التوشيح ص ١٩٦ .
(٢) نفح الطيب ٢ ١ ٢٥ ٠
(٣) دار الطراز ص ٧٣ .

أيها الساقى إليك المشتكى   قد دعوناك وإن لم تسمع

* * *

ونديم همت فى غرته
وشربت الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق إليه واتكا   وسقانى أربعاً فى أربع

وقد حظيت هذه الموشحة بشهرة واسعة ، فتناقلتها الأجيال ، وعارضها الوشاحون ، فنسج على منوالها ابن عربى (٥٦٠ – ٦٢٨ هـ) واحتذاها فى موشح له مطلعه : (١)

عندما لاح لعينى المتكا   ذبت شوقاً للذى كان معى

واقتبس ابن عربى مطلع موشحة ابن زهر وجعله خرجة لموشحته . (٢)
كما عارضها الصفدى فى موشح قال فى مطلعه :(٣)

هلك الصب المعنى هل اكا   فى تلافيه بوعد مطمع

وقد أشرنا من قبل إلى أن ابن زهر كان يعارض بموشحته موشحة أخرى لابن بقى .

---

(١) ديوان ابن عربى ص ٣٩٢ . ط . بولاق ١٢٧١ هـ .
(٢) نفسه ص ٣٩٢ .
(٣) توشيع التوشيح ص ١٢٩ .

الطبيعـــة

عالج ابن زهر موضوع الطبيعة فى موشحاته وأجاد فى مزجها بالموضوعات الأخرى ، ووصفها باقتدار وبراعة ولم يقع فى أسر الصنعة التي تذهب بجمال الموضوع أو المعنى ، ولذلك لم يتجاوز الدكتور مصطفى الشكعة الحقيقة عندما قال إن ابن زهر فتح بموشحاته باب الطبيعة لغيره من الوشاحين . (١)

وقد أشار ابن سعيد إلى أن أحسن موشحات ابن زهر موشحته فى وصف الطبيعة التى أولها : (٢)

مـد الخليـج × ورف الشجر

لقـد تبـاهى × منظر ومخبر

وقد ضاعت هذه الموشحة ـ للأسف ـ ولم يبق منها غير مطلعها .

ومن موشحات ابن زهر التي يمزج فيها بين الخمر والطبيعة موشحته التى يقول فيها (٣)

هات ابنه العنب واشرب

* * *

يا صاحبي ما تقول

ماء وظل ظليل

---

(١) الأدب الاندلسى (موضوعاته وفنونه) ص ٢٠٤ .

(١) المغرب ٢٧١/١ .

(٣) ديوان الموشحات الأندلسية ، تحقيق د. محمد زكريا عنانى ص ٥٥ .

وقهـوة كالسلسبيل
ظفـرت بالطـرب فاطرب

ويمزج ابن زهر بين الطبيعة والخمر فى مطلع موشحته التى يقول فيها :(١)

حسب الخيع ملجا روض على غدير
وقهوة مداره أنفـاسهـا عبـير

ويصف ابن زهر الطبيعة وصفاً بديعاً فى واحدة من أجمل موشحاته ، ويمزج فيها بين الحنين والغزل والوصف ، ويتذكر فيها أيامه التى قضاها فى أشبيلية فى أحضان الطبيعة ، وبين متنزهاتها الجميلة . يقول ابن زهر فى موشحته : (٢)

ما للموله من سكره لا يفيق ياله سكران
من غير خمر يا للكئيب المشوق يندب الأوطان

* * *

هل تستعاد أيامنـا بالخليـج وليـالينـا
إذ يستفاد من النسيم الأريـج مسك دارينـا
وإذا يـكاد حسن المكان البهيـج أن يحيينـا
نهر أظله دوح عليه أنيق مورق الأفنان
والماء يجرى وعائم وغريق من جنى الريحان

* * *

(١) جيش التوشيح ص ١٩٦ .
(٢) المقتطف ١٥٢ .

أوهل أديب يحيى لنا بالعروس ما كان أحلى
معى الحبيب وصافيات الكئوس فاسقنى واملا
عيش يطيب ومـتره كالعروس غنـدما تجـلى
عيش لعله يعود منه فريق كالذى قد كان
أضغاث فكر تحدو به وتسوق هـذه الألحان

فالطبيعة فى هذه الموشحة ترتبط عند ابن زهر بالوطن والحبيب والأهل ، وهى أداة التذكر والاسترجاع ، وقد كانت هذه الموشحة تحظى بمكانة خاصة عند ابن زهر ، فقد سئل عن أبدع ما وقع له فى التوشيح فاختار هذه الموشحة دون سواها : (١)

---

(١) المقتطف ١٥٢ .

المـــدح

شارك ابن زهر بموشحاته فى موضوع المدح، وكان طبيعياً أن يتجه بهذا الفن إلى مدح أمراء الموحدين الذين خدمهم بطبه وعلمه، وحظى عندهم بمكانة مرموقة ، ولكنه لم يصرف همه إلى المدح ، ولم يتخذه وسيلة للتكسب ،وربما كانت مدائحه القليلة فيهم ضرباً من المجاملة ، واعترافاً بحسن صنيعهم معه .

ولا نجد من مدائح ابن زهر فى الموحدين سوى موشحة فى مدح الأمير أبى حفص الموحدى ، وهي تتكون من أربعة أبيات دورية ، يستأثر الغزل بثلاثة منها ، ولا يأتي المدح إلا فى بيت واحد فقط هو البيت الأخير ، وفيه يقول : (١)

يا بن الناصر المنصور	يا بن المجد أجمع
أنت الأمن للمذعور	ممـا يتوقـع
فكم جذل مسرور	يقول و يسمـع
أبو حفص ه سلطانى	الله يحرزو لى
ه آمنى ه أغنانى	ه بلغن سولى

ولابن زهر موشحة أخرى فى مدح أحد الوزراء ويسمى (ابن راحل) وقد بدأها بمقدمة خمرية انتقل بعدها إلى الغزل وأشارفي خرجتها إلى ممدوحه فقال فى بيتها الأخير :(٢)

---

(١) المغرب ١/٢٧٥ .

(٢) جيش التوشيح ص ١٩٧ .

لمــــا نأيت عنى وبت مكمــــدا
عللت بالتمنى قلبـاً مفردا
وإذا قـربت منى غدوت منشدا
بشرى لكل من جا باقبال الوزير
أن يعطى من بشاره ما يعطى البشير

وهناك موشحة مدح أخرى نسبت لابن زهر الحفيد ومطلعها :([1])

يوم الفـراق يوم صعيب يرمي إذا رمى فيصيب

ويتخلص الوشاح من الغزل إلى المدح فيمدح المرتضى بن إسحاق ويلقبه بابن سابع الخلفاء ، فيقول :([2])

خل الهوى وذكـر الظباء
وابعث رسائـلا من ثنـاء
إلى ابن سابـع الخلفاء
بلـغ له المعالى نصيب إن رماها فهو لا يخيب

* * *

هـذى مكارم الأخـلاق
والمـرتضى ابن اسحاق
تألقـاً على إشـراق
قال لها وقـالت تجيب من خان حبيب الله حسيب

---

(١) وردت فى المستدرك على ديوان الموشحات الأندلسية ص ٥٣ وقد نسبها محقق الديوان لابن زهر الحفيد .

(٢) المستدرك على ديوان الموشحات ص ٥٣ـ٥٤ .

وهذه الموشحة قريبة الشبه بموشحة أخرى لابن زهر يقول فى مطلعها: (١)

كل له هواك يطيب أنا وعاذلى والرقيب

وهناك تشابه واضح بين الخرجة فى الموشحتين فهل الموشحتان من صنع وشاح واحد هو ابن زهر الحفيد ؟

إننى أشك فى نسبة موشحة المدح هذه لابن زهر لعدة أسباب ، منها أن قيمتها الفنية ضئيلة بالقياس إلى موشحات ابن زهر، ومنها - وهذا هو الأهم - أنها قيلت فى مدح المرتضى بن إسحاق الموحدى، ويسمى عمر بن أبى ابراهيم إسحاق ، وقد تولى الخلافة بعد المعتضد وذلك فى سنة ٦٤٦ ﻫ بينما توفى ابن زهر سنة ٥٩٥ ﻫ ، وقد ظلت خلافة المرتضى حتى سنة ٦٦٥ ﻫ عندما ثار عليه أمير من أمراء الموحدين يسمى أبا العلاء إدريس ، ويعرف بأبى دبوس ، وتلقب بالواثق وتحالف مع بنى مرين حتى استخلص العرش من يد المرتضى (٢).

والمصدر الوحيد الذى انفرد بذكر هذه الموشحة هو (الروضة الغناء) وقد تردد اسم أبى مروان بن زهر فى رواية هذه الموشحة فى هذا المصدر (٣) مما يجعلنا نفترض أن هذه الموشحة من صنع أبى مروان عبد الملك بن زهر أحد أحفاد ابن زهر الوشاح وقد عاش والد أبى مروان هذا فى خلافة محمد الناصر

(١) جيش التوشيح ص ٢٠٨.
(٢) المعجب ص ٤١٨-٤١٩ .
(٣) المستدرك على ديوان الموشحات الأندلسية ص ٥٤ .

وتوفي سنة ٦٠٢ هـ (١). وأنجب ولدين أحدهما أبو مروان هذا ولا نعلم تاريخاً محدداً لوفاته وإن كان من الواضح أنه عاش في فترة زمنية مقاربة لولاية المرتضى وربما نظم فيه هذه الموشحة مقلداً فيها موشحة (كل له هواك يطيب) وهي موشحة صحيحة النسبة لابن زهر الحفيد .

---

(١) طبقات الأطباء ٢/٧٤–٧٥ .

الفصل الرابع

جوانب الشكل الفنى
فى
موشحات ابن زهـــر

---

* البنية

* اللغة

* الصور الفنية

* الوزن والموسيقى

* الحرجة

البنيـــة :

يختلف الموشح في بنائه عن القصيدة التقليدية ، فالقصيدة تقوم أساساً على وحدة البيت والوزن والقافية . أما الموشح فهو بناء هندسي له قوانينه وتقنياته ، فهو يبدأ بالمطلع إذا كان تاماً ، يليه الدور الذى يتألف من عدة أجزاء متحدة الوزن والقافية ويختم الدور بالقفل الذى يماثل المطلع فى الوزن والقافية وعدد الأجزاء ، وتتوالى بعد ذلك الأدوار والأقفال حتى نصل إلى الخرجة أو المركز فى ختام الموشح الذى يتألف فى الغالب من خمسة أبيات . والبيت فى مصطلح الموشح غيره فى القصيدة التقليدية ، فهو فى الموشح يتكون من الدور والقفل ويسمى « البيت الدورى » .

وكان بناء الموشح فى مراحله الأولى قريب الشبه بالمسمط ثم تطور بعد ذلك فظهرت الأنماط المركبة والمرصعة والمضفرة حتى صار الاهتمام بالشكل معرضاً لإظهار مهارة الوشاح ، وإثبات تأنقه فى الصنعة .

وتتنوع أنماط البنية فى موشحات ابن زهر ، فقد تأتى فى أبسط أنماطها من غير ترصيع أو تضفير فيما يسمى (المشطر المجرد) ونمثل له بقوله : (١)

سلوا مقلتى ساحر
عن السحر والساحر
وعن نظر حائر
يريش سهام الفتور
ويرمى خبايا الصدور

---

(١) المطرب ص ٢٠٤ .

فهذا البيت التوشيحي المخمس شبيه في بنائه بالموشح في مراحله الأولى ، وهذا النمط قريب الصلة بالمسمطات .

وقد يخالف ابن زهر في البنية بين الدور والقفل ، فيأتي القفل مزدوجاً مركباً من جزئين بينما يأتي الدور مشطراً ساذجاً كقوله : (١)

بأبي من رابها نظري فبدا في وجهها الخجل

* * * * * *

أمهاة تلك أم بشر
للورى في حسنها عبر
غصن بان فوقه قمر
ورحيق جال في درر أين منه ويحك القبل

وقد يأتي الدور مزدوجاً وكذلك القفل (٢) ، وقد يكون الدور مشطراً بينما يجعل القفل مذيلا بفقرة على نحو ما يبدو في موشحه الذي يقول في مطلعه : (٣)

هل لقلبي قرار
والأحبة ساروا رواحا

وقد يستخدم ابن زهر الترصيع في الأقفال والأدوار (٤) ومع هذا

---

(١) توشيع التوشيح ص ٥٧ـ٥٨ .

(٢) جيش التوشيح ص ١٩٦ .

(٣) نفسه ص١٩٨ .

(٤) ديوان الموشحات الأندلسية ٢/٩٦ ، ١٠١ ،

التنوع فى أنماط البنية فنلاحظ أنه يؤثر بنية معينة وهى التى يكون فيها الموشح مزدوج القفل ، مشطراً ، ساذجاً (١)، وكذلك البنية التى يكون فيها الموشح مشطراً ، مجرداً . وهذان النمطان اللذان يؤثرهما ابن زهر يمثلان البنية فى أبسط أنماطها ، وهذا ما يتفق مع طريقته التى عرف بها والتى تقوم على إيثار البساطة ومجانبة التعقيد .

هناك ظاهرة أخرى تتصل ببناء الموشحة عند ابن زهر ، هى ما نلحظه من ترابط وتلاحم وانسجام بين أجزاء الموشحة ، وقد عمد إلى وسائل شق لتحقيق ذلك ، فكان يلجأ أحيانا إلى ما يسمى فى مصطلح العروضيين (التضمين) أو تعليق القوافى حتى لا يستقل جزء بمعناه وحتى يجذب انتباه القارىء أو السامع إليه . وقد عد بعض العروضيين التضمين عيباً من عيوب القافية فى الشعر استناداً إلى مفهوم وحدة البيت فى القصيدة ، ولكن ذلك لا ينسحب على الموشحة التى تقوم على وحدة البيت الدورى والتى ينظر إلى أجزائها باعتبارها كلا واحداً أو وحدة متكاملة ، ونستطيع أن نرى مثالا لهذا التضمين فى قول ابن زهر (٢) :

يا طلعـة الشمس أما ... أصلحت ذاك الخلقـا
جعـلت قربى حـرما ... هيجت جسمى حرقا
ولم تعـرج كلمـا ... جئتـك أشكو الأرقا
وقام للوجـد دليـل ... بالسـر منى أخـبرك
أخذت فى قتـل برى ... ولم تحقـق نظـرك

(١) أنظر ديوان الموشحات الأندلسية ٢/ ٧١ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ١١٦ .
(٢) جيش التوشيح ص ٢٠٩ .

ومن هذه الوسائل الفصل بين أجزاء الجملة بفواصل أو جمل اعتراضية بحيث لا يكتمل معناها إلا فى الأجزاء التالية . كما نلاحظ أن ابن زهر يوظف مطالعه غالباً لخدمة المعنى الأصلى الذى يتناوله .

وتتكون موشحات ابن زهر فى الأغلب الأعم من خمسة أبيات ، وهو يلتزم بالمطلع فى معظمها فيما عدا أربعة منها (١) .

---

(١) أنظر ديوان الموشحات الأندلسية ١/٧١ ، ٧٩ ، ٩٠ ، ١٤

لغة ابن زهر :

إن ابن زهر وشاح أصيل استطاع أن ينشىء مدرسة ذات ملامح خاصة في فن التوشيح ، هي مدرسة الأسلوب السهل اليسير ، هذا الأسلوب الذى وجد له تلاميذ وأنصاراً بين الوشاحين (١) ، وأهم مايميز لغته هو تلك الرقة والبساطة المتناهية وهى سمة تنتظم كل موشحاته ، فلا يكاد القارىء لموشحاته يقع على لفظة غريبة أو معنى مستغلق .

والواقع أن صياغة الموشحة فى لغة سهلة كان مطلباً يسعى إلى تحقيقه وشاحو الأندلس لأن الموشحات كانت تنتظم غالباً لأجل الغناء الذى يتطلب لغة بسيطة يمكن فهمها بسهولة .

ونلاحظ أن ابن زهر أظهر إعجابه بموشحة لابن القزاز « لما وقع له فى خلالها من حسن الالتئام وسهولة النظام مما يندر وجود مثله فى منثور الكلام » (٢) على حد تعبير ابن زهر نفسه ، وفى ضوء هذا التعليل نستطيع أن نفهم سر إعجاب ابن زهر بموشحة أخرى لابن بقى تنتهى أواخر أقفالها بالتسكين (٣) ، ويعبر ابن حزمون — وهو وشاح معاصر لابن زهر — عن رأيه فى الموشح الجيد فيقول (٤) : « ما الموشح بموشح حتى يكون عارياً من التكلف » .

---

(١) من مقال (فن التوشيح) للدكتور الأهوانى عن كتاب (حركات التجديد فى الأدب العربى) ص ٩١ .

(٢) أزهار الرياض ٢/٢٥٤ .

(٣) المقتطف ٤١ .

(٤) أزهار الرياض ٢/٢١١ .

وقد وفر ابن زهر لموشحاته هذا المطلب ، فجاءت بعيدة عن التكلف والإغراب ، بسيطة التراكيب ، أقرب إلى منثور الكلام ، مما يتضح فى مثل قوله : (١)

يا فؤادى عزاء
كان ما الله شاء
هل ترد القضاء
فلتوال الدعاء
أن يرد القطار
فيعود المزار

وتكاد لغة ابن زهر تصبح فى بساطتها أقرب إلى العبارات المنثورة كقوله فى أحد أقفال موشحاته : (٢)

أنا من يعظم والله مقداره
ويلزم إكباره

ويمكن أن يكتب هذا القفل على هذا النحو « أنا من يعظم والله مقداره ويلزم إكباره » وهنا يبدو أقرب إلى النثر منه إلى الشعر .

وكثيراً ما يعمد ابن زهر إلى تسكين أواخر الفقر ، أو تسكين قوافى الأقفال والأدوار كلها فيطوع الإعراب ليبدو أكثر ملاءمة للغناء ، ويمكن

---

(١) جيش التوشيح ص ١٩٨ .
(٢) المغرب ١/٢٧٧ .

أن نرى ذلك فى قوله : (١)

يا ساحراً فوق كل ساحر ومن له حسنه أصف
وجهك كالصباح باهر أردية الحسن يلتحف
كالروض حفت به الأزاهر يقطف باللحظ إن قطف
كالغصن اللدن في التثنى تهز أعطافه الرياح

وتتردد فى موشحات ابن زهر عبارات كثيرة تبدو أقرب إلى ما يدور على ألسنة الناس من حديث عادى مثل قوله : « حسبي الله » (٢) وقوله (٣) « وكلام اللائم شيء يمر مع الرياح »

وقوله : (٤)

وكان من رأى العذول إذ غشنى أن أهجرك

وقد يضمن الأمثال المتداولة كقوله : (٥)

كل ما فات وانقضى ليس بالحزن يرجع

ويكثر ابن زهر كذلك من استخدام الأساليب الإنشائية ، مثل حروف الاستفهام ، وصيغ النداء ، مما نراه في قوله (٦)

---

(٢) طبقات الأطباء ٢/٧٢ .

(٢) جيش التوشيح ص ٢٠٨ .

(٣) طبقات الأطباء ٢/٧٢ .

(٤) جيش التوشيح ص ٢١٠ .

(٥) نفح الطيب ٢/٢٥١ .

(٦) جيش التوشيح ص ٢٠٨ .

يا من يطيل | من الصدود كفاكا | إستمع مني
و يا عذول | أليس تملك فاكا | إنته عني
و يا بخيل | ألا أبحت حماكا | جود ممتن
... ... إلخ

ولا نجد فى موشحات ابن زهر غير موشحة واحدة عمد فيها إلى الصنعة عن طريق تجنيس قوافى الأدوار والأقفال ، وذلك لإثبات مهاته وقدرته كوشاح متمكن يمتلك ناصية اللغة والقوافى ، ويعرف كيف يفتن ويتلاعب بها حسبما يشاء ، وفيها يقول (١)

وبى من الحب قد تسلسل | سلسل
فى صورة الدمع بعدما انهل | منهل
والعود عندى لمن تأول | أول
والحسن فيه على المثانى | ثان

وفيما عدا هذه الموشحة فان موشحات ابن زهر تخلو من الصنعة وتنأى عن أثقال البديع والزينة اللفظية ، وتسير على هذا النمط المعهود من الرقة والشفافية وتتميز ببساطة تراكيبها ، وسهولة ألفاظها ، وإيقاعها العذب الشجى .

(١) توشيع التوشيح ص ٩٦ .

الصور الفنية :

الصورة عنصر أساسى من عناصر الشعر ، فالشعر بلا خيال أو تصوير يصير ضرباً من التقرير الممل ، والسرد الجامد البارد . والصورة الفنية تختلف فى طبيعتها من شاعر إلى آخر بل أنها تختلف باختلاف العصر والبيئة .

والموشحات فن من فنون الأدب ولكنها فن ذو طبيعة خاصة مميزة ، فهى ترتبط أساساً بالغناء ، ولها مجالاتها المميزة كالغزل والخمر والطبيعة ، وإذا كانت الموشحة أقرب إلى الأغنية ، فمن الطبيعى أن ينأى بها الوشاح عن الصنعة ، وأن يبتعد بصورها عن الإغراب والإيغال ، وإذا كان بعض الوشاحين قد دار بموشحاته فى فلك الصنعة ، وأصبح أسيراً للألوان والأصباغ ، فان ابن زهر عاد بالموشحات إلى طبيعتها المألوفة ، ولذلك فالصورة الفنية عنده تخضع لتلك السمات العامة التى تتميز بها مدرسته ، وهى سمات البساطة والوضوح ، وان كان هذا لا يمنع من أنه كان يتمتع بخيال خصب خلاق ...

ويعتمد ابن زهر فى رسم صوره على عناصر عديدة ، من أبرزها عنصر « التشخيص » ، فهو لديه قدرة فائقة على تشخيص المعانى وتحويلها إلى صور ناطقة حية ، ويبدو أن ممارسته لمهنة الطب عمقت لديه هذا الجانب وقوته ، ولذلك تبدو بعض موشحاته أشبه بلوحات فنية بديعة تجمع بين البساطة والعمق ، وبين الوضوح ودقة التصوير .

وكثيراً ما يستعين بعنصر « الحركة » فى رسم لوحاته ، ويفتن فى استخدام هذا العنصر فتأتى الصورة نابضة بالحياة والحيوية ، مثل هذه

الصورة البديعة التى يرسمها لنديمه وهو يغالب النعاس من أثر الشراب ، ويصوره ابن زهر وهو يجذب زق الخمر إليه ثم يناوله وهو متكىء لابن زهر ... يقول : (١)

وندیم همت فی غرتـه
وشربت الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق إليه واتكا — وسقانى أربعاً فى أربع

ثم انظر إلى جمال هذه الصورة فى الموشحة ذاتها حين تستحيل أعضاء الجسد إلى شخوص تتباكى :(٢)

ما لعينى عشيت بالنظر
أنكرت بعدك ضوء القمر
وإذا ما شئت فاسمع خبرى
عشيت عيناى من طول البكا — وبكى بعض على بعضى معى

ثم انظر إلى براعته وافتنانه فى التشخيص حين تبدو مقلة العين فى صورة شخص يشكو ويرثى ويبكى ويجود بما يملك :(٣)

مقـلة جادت بما ملكت
عرفت ذل الهوى فبكت

---

(١) دار الطراز ص ٧٣ .
(٢) نفسه ص ٧٣ .
(٣) طبقات الأطباء ص ٧١ .

وشكت مما بها ورنت

وفؤادى هائم أبدا ما عليه للسلو يد

وقد تتحقق المشاركة الوجدانية فى بعض صوره ، ويتحد الجو النفسى ، فيتجاوب شجو الحمام ونوحه مع أحزان الوشاح ، فيمتزجان معاً ، ويذوب كلاهما فى الآخر :(١)

أبكي العيون البواكى

تذكار أخت السماك

حتى حمام الأراك

بكى بشجوى وناحا على فروع الغصون

ومن العناصر التى تقوم عليها طريقة ابن زهر فى التصوير مايمكن أن نسميه تراكم التشبيهات أو الإكثار من إيراد الصور المتلاحقة ، حتى ليستأثر البيت الدورى ـ أحياناً ـ بأربعة صور أو تشبيهات نحو قوله :(٢)

سفرن فلاح الصباح

هززن قدود الرماح

ضحكن ابتسام الأقاح

كأن الذى فى النحور

تخيرن منه الثغور

وهذه الصور على تتابعها وتعددها صور مألوفة صيغت بطريقة سهلة بسيطة ...

---

(١) طبقات الأطباء ٢/٧٤ .

(٢) المطرب ص ٢٠٤ .

وقد تتعدد التشبيهات فى البيت الواحد بصورة أكثر من المثال السابق فتتعاقب على هذا النحو :(١)

يوسفى الحسن	عذب المبتسم
قمرى الوجه	ليلى اللمم
عنترى البأس	علوى الهمم
غصنى القد	مهضوم الوشاح
مادرى الوصل	طائى السماح

وهذه الصور خير مثال لما تتميز به طريقة ابن زهر من بساطة ووضوح ، وهى تستمد جمالها من بساطتها وسهولة صياغتها

وتتنوع المناهل التى يستقى منها ابن زهر مـواد صوره ، وغالباً مايستمد صوره من أجواء الطبيعة والخمر كقوله :(٢)

زاد على بهجـة النهـار	من حسنه الدهر فى ازدياد
لحظ له سطوة العقـار	يفعل فى العقل ما أراد
خداه كالورد فى البهار	يقطف باللحظ أو يكاد
وذلك المبسم البرود	حصاه در وصرف راح
أو مثل ماقلت ماء مزن	يسقى بها يانع الأقاح

---

(١) ديون الموشحات الأندلسية ١١٩/٢ .

(٢) طبقاء الأطباء ٧٣/٢ .

ويقتبس ابن زهر صوره كذلك من أجواء الحرب كما في قوله :[١]

وغـزال سامني بالملق
وبرى جسمي وأذكى حرقي
أهيف مذ سل سيف الحدق
قصرت عنه أنابيب الرماح
وثنى الذعر مشاهير الصفاح

وقد تسللت الصور المستمدة من صناعة الطب إلى موشحات ابن زهر ، وقد مر بنا في غير هذا الموضع ما يدل على هذا الأثر ، مثل قوله :[٢]

قلب قريح وفي الفؤاد كلوم أبداً تدمي
ويا مشيح إلى تستديم جسمي سقما
ويانصوح أهدى إليك الملوم أذناً صما
..... إلخ

وقد يأخذ صوره من اللغة التي أجادها حتى قيل إنه لم يكن في زمانه أعلم منه بمعرفة اللغة (٣)، فمن ذلك قوله :(٤)

من لي بمخضوبة البنان ممشوقة القد والدلال
من هجرها مشبه الزمان ماض ومستقبل وحال

---

(١) ديوان الموشحات الأندلسية ٢/١١٨-١١٩ .
(٢) نفسه ٢/٨١-٨٢ .
(٣) طبقات الأطباء ٢/٦٨ .
(٤) التكملة ٢/٧٣ .

وقد تلح على ذهنه بعض الصور القديمة مثل صورة الطلل وهو يتمثلها على هذا النحو :(١)

عارض الفؤاد بأشجانه
ومضى على حكم سلطانه
فانبريت فى بعض أوطانه
تـارة أقبل فى الترب آثـاره
وأندبه تارة

وحين يصف ابن زهر معاناته وتباريحـــه وسهره ترد على ذهنه صورة الكواكب التى تساق ، ويتخيل الليل كالأسير ، وهى صورة قديمة ولكن ابن زهر يلبسها هذا الثوب الجميل فيقول :(٢)

قد مات كل ميـل	لجانب الصبـا
ويـل وأى ويـل	لكل من صبـا
أعيا على ليلى	شرقاً ومغربـا
كواكب ترجى	تزاحف الكسير
فهن فى استداره	والليل كالأسير

وقد يعمد فى صوره إلى طريقة قياس الأشباه والنظائر على نحو يـذكرنا بأبى تمام كما فى قوله .(٣)

---

(١) جيش التوشيح ص ٢١١ .
(٢) نفسه ص ١٩٧ .
(٣) المغرب ١/٢٧٧ .

لا أطيق كـتما ضقت بالأسى ذرعـا
زائـر ألمـا يلبس الدجي درعا
حجبوه لمـا صار صورة بدعا
وكـذا الأفـول من عوائد القمر
قلمـا تـأتى أمل بلا كدر

ويستمد ابن زهر بعض صوره من الأجواء الشعبية ، فـنراه يردد صورة العروس فى وصف الرياض فيقول :(١)

عيش يطيب ومنزه كالعروس عندما تجلى

وتبرز عنده صورة الغريق الذى يصارع الأمواج ويتشبث بالحياة فلا يجد طوق نجاة يتعلق به ، وهى صورة شعبية صميمة :(٢)

دمعى جرى فنطق × عن بعض ما أجد
ومسعدى فى الأرق × والناس قد رقدوا
نجم ضعيف الرمق × حيران منفرد
يلوح ضعف القوى × على توانيـه
مثل التماس الغريق × ماليس ينجيه

وعلى هذا النحو استطاع ابن زهر أن ينوع فى مادة صوره ، وأن يحلق بها فى آفاق الخيـال الواضح الخلاب ، وأن يصوغها فى أسلوب سهل ، فغدت صوره مطلباً يعجز عن تحقيقه كثير من الوشاحين .

---

(١) ديوان الموشحات الاندلسية ٢/٩٧ .
(٢) المغرب ١/٢٧٦ .

الوزن والموسيقى

كانت الموشحات الأندلسية ثورة عاتية على الشكل الموروث للقصيدة العربية ، وتمثلت هذه الثورة أكثر ما تمثلت فى بنية الموشحة وفى أوزانها وقوافيها .

وقد تحدث ابن سناء الملك عن أوزان الموشحات ، فرأى أنها تنقسم إلى قسمين : (١)

الأول : ما جاء على أوزان أشعار العرب .

وهذا القسم ينقسم بدوره عند ابن سناء الملك إلى قسمين :

أحدهما : ما يلـــتزم بالوزن الشعرى التزاماً تاماً دون أى تغيير ، ويرى ابن سناء الملك أن ما جاء على هذا النسج يعد مرذولا مستقبحاً ، وهو بالمخمسات أشبه منه بالموشحات ، ولا يفعله إلا الضعفاء من الوشاحين .

والآخر : ما تخللت أقفاله وأبياته كلمة أو حركة ملتزمة كسرة كانت أو ضمة تخرجه عن أن يكون شعراً صرفاً ، وقريضاً محضاً .

أما القسم الثانى من الأوزان — كما يحدده ابن سناء الملك — فهو ما لا وزن له فيها ، ولا مدخل لشىء منه فى شىء من أوزان العرب ، وهذا القسم منها فى رأيه — هو الكثير ، والحجم الغفير . .

ويرى ابن سناء الملك أن هذا القسم الأكبر من الموشحات لا يوزن بغير

---

(١) دار الطراز ص ٣٤ وما بعدها .

ميزان التلحين فيقول « وما لها عروض إلا التلحين ، ولا ضرب إلا الضرب ولا أوتاد إلا الملاوى ، ولا أسباب إلا الأوتاد ، فبهذا العروض يعرف الموزون من المكسور ، والسالم من المزحوف ، وأكثرها مبنى على تأليف الأرغن » . (١)

والواقع أن الدراسة العروضية المتأنية للموشحات تجعلنا لا نسلم بكل ما رآه ابن سناء الملك، فليس اللحن هو الأساس في وزن الموشح، بل إن « ميزان العروض هو حجر الزاوية فى نظم الموشح ، كما هو الشأن فى نظم القصيدة ، وقد اعتمد عليه المغنون فى تجزئة الموشحات وتلحينها ، وفى تطويع الألحان الإسبانية لمقاييسه كل ما فى الأمر أن مقاييس العروض فى الموشح لم تعد قاصرة على مقاييس الخليل التى ضبط بها أوزان الشعر العربى ، بل تعدتها إلى مقاييس جديدة ولدها الوشاحون من مقاييس الخليل ، وأثروا بها العروض العربى ، وأفاد منها المغنون فى تلحين الموشح . وما من وزن من أوزانهم « المبتكرة » إلا وهو « مولد » من الأوزان المستعملة أو المهملة فى العروض العربى » . (٢)

وقد ضرب ابن سناء الملك مثلا للموشح الذى لا يخضع لأوزان العرب بموشح التطيلى الذى يقول فى مطلعه : (٣)

أنت اقتراحى × لاقرب الله اللواحى

وقد وصف بن سناء الملك هذا الموشح بأنه « مضطرب الوزن ، مهلهل النسج ، مفكك النظم » .

---

(١) دار الطراز ص ٣٥ .

(٢) فى أصول التواشيح ص ٦ .

(٣) دار الطراز ص ٣٧ . فى أصول التوشيح ص ٤٣ .

وبالتقطيع العروضى لهذا المطلع يبدو وزنه على هذا النحو :

أنت اقتراحـــــى × لاقرب الله اللواحـــــى

مستفعـــــلاتن × مستفعلن مستفعـــــلاتن

وهذا الوزن مولد من بحر الرجز ولكن الوشاح استغل فكرة الزحافات والعلل ، فأضاف إلى التفعيلة الأولى (مستفعلن) سبباً خفيفاً وكذلك فعل فى التفعيلة الأخيرة . وهذا ينفى ما ارتآه ابن سناء الملك من خروج هذا الموشح عن الوزن ، ويؤيد ما نراه من أن تجديد الوشاحين كان فى إطار العروض العربى .

وبدراسة موشحات ابن زهر عروضياً نلاحظ أنها تسير فى اتجاهين :

الأول : ما يجرى على الأوزان الخليلية التقليدية دون تغيير أو تبديل ودون حذف أو إضافة ، ومن ذلك الموشح المشهور : (١)

أيها الساقى إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع

فهو من بحر الرمل وتفعيلاته :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلاتن فاعلن

ومن ذلك موشحه الذى يقول فى مطلعه : (٢)

زعمت أنفاسى الصعدا أن أفراح الهوى نكد

---

(١) دار الطراز ص ٧٣ .

(٢) طبقات الأطباء ٢/٧١ .

فهو من بحر المديد ووزنه :

فاعلاتن فاعلن فعلن فاعلاتن فاعلن فعلن

أما القسم الثانى ـ وهو الأكثر ـ فهو ما جدد فيه ابن زهر فى إطار العروض العربى .

وتتنوع مظاهر التجديد في الأوزان عند ابن زهر ، فقد يعمد إلى التجزئة فى الوزن كما فعل فى موشحته :(١)

لأتبعن الهوى × إلى أقاصيه
حتى يقول فريق × رقت حواشيه

فقد جزأ تفعيلات بحر البسيط فجاءت على هذا النحو :

مستفعلن فاعلن × مستفعلن فاعلن

وفى موشحته التى يقول فيها : (٢)

ماللموله ، من سكره لايفيق × ياله سكران
من غير خمر ياللكئيب المشوق × يندب الأوطان

نراه يجزىء تفعيلات بحر البسيط بحيث تأتى على هذا النحو :

مستفعلن فا مستفعلن فاعلن مس × تفعلن فعلن

وقد يفيد من الاستعمالات المتنوعة للبحر كما فعل فى موشحته :(٣)

---

(١) المغرب ١/ ٢٧٥ .
(٢) المقتطف ١٥٢ .
(٣) طبقات الأطباء ٢/ ٧٣ .

هل ينفع الوجد أو يفيد أم هل على من بكى جناح
يا منيـة القلب غبت عـنى فالليل عندى بـلا صباح

فقد نظمه فى ضرب (مخـلع البسيط) محدثاً عـلة حذف فى التفعيلة الأخيرة باسقاط السبب الخفيف منها ، فيكون الوزن على هذا النحو :

مستفعلن فـاعلن فعولن مستفعلن فاعلن فعو

ولا تقف محاولاته عندهذا الحد ، بل نراه يولد استعمالات جديدة للأوزان، كما يتضح من موشحته :(١)

هـل لقلبي قـرار
والأحبـة ساروا رواحا

فقد ولد من وزن الخفيف استعمالا جديـداً هو (فاعلاتن فعولن) ولم يكتف بذلك ، بل نراه يذيل السمط الثانى بفقرة على وزن (فعولن) .

وقد ينظم فى وزن من الأوزان ولكنه يغير قليلا فى صورته المألوفـة كما فعل فى موشحته :(٢)

نبه الصبح رقـدة النائم فانتبه للصبوح
وأدر قهوة لهـا شـان ذات عرف يفوح

فالموشحة أصلها من بحر الخفيف ولكن تفعيلاته جاءت على هذا النحو :

فاعلاتن متفع لن فعلن فاعلاتن متاف

---

(١) جيش التوشيح ص ١٩٨ .
(٢) العذاري المائسات ص ٥٦ .

وتتغير صورة بحر المنسرح في موشحته :(١)

هات ابنة العنب * واشرب

فيأتى وزنها على هذا النحو :

مستفعلن مفعو * لات فع

ويلجأ ابن زهر إلى فكرة العلل ، فيستغل كل مافيها من إمكانات متاحة ، فاذا استعمل بحر الكامل مثلا ، زاد على التفعيلة الأخيرة فى كل غصن من أغصان الدور سبباً خفيفاً فتصير (متفاعلاتن) بدلا من (متفاعلن) ، فاذا جاء إلى القفل عمد إلى التنوع لإثراء الموشحة بالموسيقى ، فتجىء صورة القفل على هذا النحو :

فاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلاتن

وينطبق هذا الوزن على موشحته التى يقول فيها :(٢)

يا صاحبي نداء مغتبط بصاحب
لله ما ألقاه من فقد الحبائب
قلب أحاط بـه الهوى من كل جانب

أى قلب هـائم لا يستريح لى اللواحى

وقد يستعمل الوزن مقلوباً كما فى موشحته :(٣)

---

(١) نفح الطيب ٣/٤٦٨ .
(٢) طبقات الأطباء ٢/٧٢ .
(٣) ديوان الموشحات الأندلسية ٢/٩٠ .

صادني ولم يـدر ما صادا
شادن سبي الليث فانقادا
واستخف بالشمس أو كادا
ياله قـد ضم بالغصن أزراره
وبالحقف زناره

فقد نظمها فى مقلوب البسيط مع شيء من الحذف ، فجاء وزن الدور على هذا النحو :

فاعلات مستفعلن فعلن

أما القفل فقد جاءت صورته على هذا النحو :

فاعلن مستفعلن فاعلن فعلن
علن فاعلن مستف

ولا يقف تجديد ابن زهر واهتمامه بموسيقاه عند هذا الحد، بل نراه يعمد الى وسائل أخرى لإثراء موشحاته بالموسيقى ، كالتنويع فى القوافى ، والتكرار فى بعض الألفاظ ، والإكثار من حروف النداء ، وحروف المد والإطلاق ، مما يمكن أن نلمسه فى قوله :(١)

يا صاحبيـا إلى متى تعذلانى أقصرا شيـا
قد مت حيا والمبتلى بالغوانى ميت حيـا
جنى عليـا عذب اللمى والمعانى ماطر ريـا

---

(١) ديوان الموشحات الأندلسية ٢/٩٦ .

هلال كلـه غزال أنس يفوق سائر الغزلان
يا ليت شعرى هل لى إليه طريق أو إلى السلوان

وقـد يجانس بين القوافى فى الأدوار والأقفال لإحداث لون من ألوان الموسيقى كما فى قوله :(١)

وناطق بالذى كفاها فاها
وبعد ما راغباً أتاها تاها
وبالجمال الذى سباها باهى
قالت على الحسن من سبانى بانى

فابن زهر لم يأل جهداً فى الاهتمام بموسيقاه ، أو العناية بتطوير أوزانه وتطويعها للغناء ، معتمداً فى تجديده على حيل ووسائل كثيرة ، وإن كانت هذه المحاولات لم تخرج عن إطار العروض العربى ، ولم تشذ عن قواعـده وأصوله العامة .

---

(١) ترشيح التوشيح ص ٩٦ .

الخـــرجة :

الخرجة هى الجزء الأخير الذى يختم به الموشح ، وهى تحظى باهتمام خاص من الوشاح ، ولذلك وصفها ابن سناء الملك بأنها « أبزار الموشح وملحه وسكره ، ومسكه وعنبره » (١) ورغم أنها تأتى فى آخر الموشح « فينبغى أن يسبق الخاطر إليها ، ويعملها من ينظم الموشح فى الأول ، وقبل أن يتقيد بوزن أو قافية ، وحين يكون مسيباً مسرحاً ، ومتبحبحا منفسحاً ، فكيفما جاءه اللفظ والوزن خفيفاً على القلب ، أنيقاً عند السمع ، مطبوعاً عند النفس ، حلواً عند الذوق ، تناوله وتنوله ، وعامله وعمله ، وبنى عليه الموشح ، لأنه قد وجد الأساس ، وأمسك الذنب ، ونصب عليه الرأس » (٢).

والأصل في الخرجة أن تكون بلغة عامية بشرط أن تكون «حجاجيةمن قبل السخف ، قزمانية من قبل اللحن ، حارة محرقة ، حادة منضجة ، من ألفاظ العامة ولغات الداصة » (٣).

ويجوز أيضاً أن تكون الخرجة معربة خاصة إذا كان الموشح فى المدح ، وذكر اسم الممدوح فى الخرجة (٤) ، أما إذا كانت الخرجة معربة وفى غير موشح مدح فيشترط أن تكون ألفاظها غزلة جداً ، هزازة سحارة خلابة ، بينها وبين الصبابة قرابة » (٥).

---

(١) دار الطراز ص ٢٣ .

(٢) نفسه ص ٣٢ .

(٣) نفسه ص ٣٢ .

(٤) نفسه ص ٣٢ .

(٥) دار الطراز ص ٣٢ .

وقد تكون الخرجة أعجمية « بشرط أن يكون لفظها أيضاً فى العجمية سفسافاً نفطياً ، ورماديا زطياً » (١).

ويجوز للوشاح أيضاً أن يستعير خرجة وشاح آخر وتسمى الخرجة فى هذه الحالة بـ « الخرجة المقتبسة » .

وباستقراء موشحات ابن زهر نلاحظ أن أغلب خرجاتها صيغت بلغة عامية ، فمن مجموع موشحاته التى بين أيدينا ، تنفرد ست عشرة موشحة بخرجة عامية ، وهناك خمس موشحات جاءت خرجاتها بالفصحى، أما الموشحات الأربع الباقية فقد جاءت مبتورة الخرجات .

وابن زهر يشارك غيره من وشاحى الأندلس فى إيثار الخرجة العامية التى هى الأصل والأساس فى نظم الموشحة ، وتتميز خرجات ابن زهر بصفة عامة بالبساطة المتناهية حتى لتبدو أقرب إلى الكلام العادى ويغلب على الظن أن بعضها مأخوذ من أفواه العامة أو من الأغانى الشعبية التى كانت تتردد فى البيئة الأندلسية ، ونستطيع أن نلمس ذلك فى موشحته التى يقول فى مطلعها : (٢)

هات ابنة العنب   واشرب

ويمهد للخرجة في الدور الأخير بلفظ الغناء فيقول : (٣)

وسله أن يصحبا
تحية للصبا
وغنه إن أبى

---

(١) دار الطراز ص ٣٢ .

(٢) المستدرك على ديوان الموشحات الأندلسية ص ٥٥ .

(٣) نفسه ص ٥٦ .

ثم تجيء الخرجة العامية فى ألفاظ بسيطة وكأنها مستقاة من أغنية كانت تتردد على ألسن الناس ، وهذه الخرجة هى :

رد السلام ياصبي   بالنبي

ومثلها أيضاً خرجته العامية التى تقول : (١)

رب يارب   هذا الحبيب اجمعنى ماع

وقد تأتى خرجات ابن زهر على ألسنة المحب أو على لسان فتاة تجهر بحبها فى غير مواربة كقوله : (٢)

خود تقول   ليست كأخرى تغنى   وهي سكرانه
نعم يا لله   يعشقنى وانا عشيق   ونحن صبيان
لس بالله تدرى   دع كل حد مع رفيق   إش يكون إن كان

وفى خرجة أخرى تصارح الفتاة أمها بحبها فتقول : (٣)

وناظر ناضر المحيا   حيا
أراك من قوله إليا   ليا
فأنشدته لمن تهيا   هيا
واحد هو يا امى من جيراني   رانى

وقد تأتى الخرجة على لسان النصوح محذرا من خيانة العهد كقوله : (٤)

---

(١) جيش التوشيح ص ١٩٨ .

(٢) المغرب ٢٦٦/١ .

(٣) توشيع التوشيح ص ٩٦-٩٦ .

(٤) العذاوى المائسات ص ٧٥ .

قالت سماك أنت ملول

فقلت ودك المستحيل

فأنشد النصوح يقول

من خان حبيب　　الله حسيب

الله　يعاقبه　أو　يثيبه

وقد ترد الخرجة على لسان العذول كقوله (١):

من لي بمخضوبة البنان　　ممشوقة القد والدلال

من هجرها مشبه الزمان　　ماض ومستقبل وحال

فيها رنى عاذلي لشاني　　ثم انثنى ضاحكا وقال :

عاشق ومسكين الله يريد　　وارث لمن يعشق الملاح

فداع يهجرن أو يصلني　　ليس على ساحر اقتراح

وفي أحيان كثيرة تأتي الخرجة على لسان ابن زهر نفسه كقوله : (٢)

أيها المدل بأجفانه

كم وفيت والعذر من شأنه

وأقول في بعض هجرانه

وعلش حبيب قطعت الزياره

وعينيك　　سحاره

---

(١) طبقات الأطباء ٢/٧٣ .

(٢) المغرب ١/٢٧٢.

وقد يخرج ابن زهر على الأسلوب المألوف في صياغة الخرجة ، فيأتى بها دون تمهيد أو غير مسبوقة بلفظ « غنى » أو « أنشد » أو نحوها من الألفاظ التى ذكرها ابن سناء الملك ، وتطرد هذه الظاهرة فى غير موشحة ، فمن ذلك قوله : (١)

حملتنى في الحب مالا يستطاع
شوقا يراع لذكره من لا يراع
بل أنت أظلم من له أمر مطاع
ومع أنك ظالمى　　　أنت هـ مناى واقتراحى

وفي موشحته التي يقول فى مطلعها : (٢)

حى الوجوه الملاحا　　　وحى نجل العيون

تأتى الخرجة أيضاً مباشرة ودون تمهيد فيقول فى ختامها :

ياراحلا لم يودع
رحلت بالأنس أجمع
والفجر يعطى ويمنع
إمرت عينيك الملاحا　　　سحر وما دعونى

ومن مظاهر خروج ابن زهر على الأسلوب المألوف فىالخرجة أن إحدى موشحاته تنفرد بكون الخرجة العامية لم تأت فيها فى البيت الأخير كالمألوف والشائع بل إنها تأتى فى البيت قبل الأخير (٣) وإن كان ورود الموشحة على

---

(١) المغرب ٢٦٨/١ .

(٢) نفسه ٢٧٣/١ .

(٣) ديوان الموشحات الأندلسية ١١٤/٢ .

هذا النحو يوحى بأن ثمة اختلالا فى ترتيب الأبيات .

أما الخرجات المعربة فهى قليلة فى موشحات ابن زهر ، وقد حاول ابن سناء الملك أن يقصر الخرجة المعربة على موشحات المدح ثم عاد وأجازها فى غير المدح .

وتتميز خرجات ابن زهر المعربة بأنها سهلة الألفاظ ، هزازة ، خلابة ، بسيطة المعنى ، ففى موشحته التى يقول فى مطلعها : (١)

شمس قارنت بدراً　　　　راح ونديم

تأتى الخرجة معربة ويمهد لها فى الدور الأخير بلفظ (شدوت) الذى يدل على الغناء فيقول :

إذ　لامنى　فيه
من رأى　تجنبه
شـدوت　أغنيه
لعل لها عذراً　　　　وأنت تلوم

وقد تأتى الخرجة المعربة أيضاً بغير تمهيد كقوله . (٢)

إن نأوا بفؤادى
وتوخوا بعادى
وأزاحوا رقادى

---

(١) طبقات الأطباء ٢/ ٧١ .
(٢) جيش التوشيح ص ١٩٨ .

يا إله العباد

لقهم حيث ساروا

أنجدوا أم أغاروا نجاحا

وقد أبدى ابن زهر اعجابه بموشحة لابن بقى يقول فى خرجتها :(١)

أما ترى أحمد فى مجده العالى لا يلحق

أطلعه المغرب فأرنا مثله يا مشرق

وأغلب الظن أن أعجاب ابن زهر بهذه الخرجة مرده إلى طرافة المعنى وما يظهره من اعتزاز بالوطن الأندلسى فضلا عن براعة ابن بقى فى صياغة خرجته بلغة معربة سهلة تقترب فى بساطتها وسهولتها من اللغة العامية.

ونقع فى موشحات ابن زهر على بعض الخرجات المقتبسة ، وقد أشار ابن سناء الملك إلى هذا اللون من الخرجات فأجاز الخرجة المعربة إذا كانت متضمنة بيتاً من أبيات الشعر المشهورة، ورأى أن هذا لايصدر إلا عن شجعان الوشاحين والطعانين فى صدور الأوزان(٢)، وهذا مافعله ابن زهر، فى موشحته التى يقول فى مطلعها . (٣)

سلم الأمر للقضا فهو للنفس أنفع

يقتبس ابن زهر فى الخرجة بيتاً مشهوراً لأبى تمام وهوقوله (٤):

---

(١) المقتطف ٤١ .

(٢) دار الطراز ص ٣٣ .

(٣) نفح الطيب ٢/١ د ٢٠ .

(٤) ديوان أبى تمام ٢ / ٣٢٠ .

فو الله ما أدرى أ أحلام نائم ... ألمت بنا أم مع الركب يوشع

ولكنه يحور فى ألفاظه ويطوعه للمعنى الغزلى العام ، فيذوب فى جسد الموشحة ، وتأتى الخرجة على هذه الصورة ودون تمهيد :

ما ترى حين أظعنا
وسرى الركب موهنا
واكتسى الليل بالسنا
نورهم ذا الذى أضا أم مع الركب يوشع

وفى موشحة أخرى يقتبس ابن زهر فى خرجته بيتين لابن زيدون مع تحوير طفيف ، فتأتى الخرجة على هذا النحو :(١)

بعدك ما نمت ولا ألفت إلا السهرا
فى ليلة طالت بلا صبيح ولاضوء يرى
فقلت للبدر على حين من الليل سرى
ياليل طل أو لاتطول لابد لى أن أسهرك(٢)
لو بات عندى قمرى ما بت أرعى قمرك

ويقتبس ابن زهر مطلع قصيدة مشهورة لابن حمديس فيجعله إحدى

---

(١) جيش التوشيح ص ٢١٠ .

(٢) هـذا البيت والذى يليه لابن زيدون . ديوانه ص ١٨٢ وقد حور ابن زهر فى لفظه (لا تطل) بأن جعلها ملحونة لتتناسب مع مثيلاتها فى خواتيم الأقفال السابقة .

خرجاته وذلك فى موشحته التى يقول فى مطلعها (١):

فتق المسك بكافور الصباح
ووشت بالروض أعراف الرياح

ويمهد فى ختامها للخرجة بما يدل على صلتها بالغناء فيقول:

يا على أنت نـور المقل
جد بوصل منك لى يا أملى
كم أغنيك إذا ما لحت لى

ثم تأتى الخرجة المقتبسة: (٢)

طرقت والليل ممدود الجناح
مرحبا بالشمس من غير صباح

ولا نعثر فى موشحات ابن زهر على خرجة رومية واحدة، وهو فى هذه الناحية يجارى وشاحى عصره، إذ لم يؤثـر عن وشاحى عصر الموحدين سوى خرجة رومية واحدة جاءت فى موشحة مدح لابن مالك(٣). ولا يكون أمامنا لتفسير ذلك إلا أحد احتمالين، فاما أن يكون ابن زهر قد عرف هذا اللون من الخرجات ولـكنه لم يصل إلينا، وفقد مع ما فقد من موشحاته،

---

(١) معجم الأدباء ١٨/٢٢١:

(٢) البيت لابن حمديس. أنظر ديوانه ص ٨٢.

(٣) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ص ٥٧٧.

وإما أن يكون قد ابتعد عن هذه الخرجات ـ بقصد أو بغير قصد ـ لاسيما وأنه أمضى الشطر الأكبر من حياته فى بلاط الموحدين فى مراكش .

مهما يكن من أمر ، فان ما بقى من خرجات ابن زهر يشير إلى براعته فى صياغتها ، فقد وفر لها قدراً كبيراً من البساطة ، واقترب بها من لغة الحديث العادى ، فجاءت معبرة عن روح العامة ، وممثلة للطابع المحلى .

الفصل الخامس

منزلتـــه الادبيـــة

منزلته الأدبية:

يتبوأ ابن زهر الحفيد منزلة عالية بين وشاحى الأندلس ، فاذا ذكر أبرز الوشاحين كان ابن زهر فى طليعتهم ، وإذا ذكر الوشاحون المعاصرون له كان هو إمامهم وفارسهم وسابق حلبتهم ، وقد أشاد به غير واحد من معاصريه وممن جاءوا بعده ، فقال عنه ابن سعيد ـ وهو فى معرض الحديث عن وشاحي الأندلس : « وسابق الحلبة التى أدركت هؤلاء هو أبو بكر بن زهر ، وقد شرقت موشحاته وغربت »(١) .

وقال عنه عبد الواحد المراكشى (٢) : « وأما الموشحات خاصة فهو الإمام المقدم فيها ، وطريقته هى الغاية القصوى التى يجرى كل من بعده إليها ، وهو آخر المجيدين فى صناعتها » .

أما تلميذه ابن دحية فقال عنه :(٣) « والذى انفرد به شيخنا ، وانقادت لتحليته طباعه ، وصارت النبهاء فيه من خوله وأتباعه ، الموشحات ، وهى زبدة الشعر ونخبته ، وخلاصة جوهره وصفوته . » .

أما ابن الخطيب فقد وصفه بقوله :(٤) « بدر أشرق منتماه ، وراقت فى المجد التليد سيماه ، وتبوأ من السؤدد أجل محل وأسماه ، وأبدع فى التوشيح

---

(١) المقتطف ص ١٥٢ .

(٢) المعجب ص ١٤٦ .

(٣) المطرب ص ٢٠٤ .

(٤) جيش التوشيح ص ١٩٦ .

وأغرب ، وسهل السنن إلى المعارف وقرب ، فجاء توشيحه يرف رونقه، ويشف ألقه ، مع سهم فى الطلاب وافر ، وطبع غير متنافر . » .

وهذه الروايات توضح لنا المنزلة السامقة التي حظى بهـا ابن زهر بـين وشاحى الأندلس ، كما تشير إلى إعجاب معاصريه بطريقته التى انفرد بها فى التوشيح وهى الطريقة التى تقوم على البساطة والسهولة ، وتعتمد الطبع وعدم التكلف ، ولذلك وصفه ابن سعيد بأنه « أول من عصر سلافة التوشيح لأهل عصره » (١) وهو وصف دقيق للطريقة التى تميز بها ابن زهر ، وقد أصبحت هذه الطريقة مطلباً يسعى إليه كل من جاء بعده ، فـلا غرابة إذاً أن تحظى موشحاته بشهرة كبيرة فى المغرب والمشرق على السواء ، فيقلدها المقلدون ، ويحاكيها الوشاحون ، بل إن وشاحاً كابن حزمون ـ وهو معاصر لابن زهر ـ عمد إلى طريقة جديدة يضمن بهـا الذيوع والانتشار لموشحاته وهى قلب موشحات ابن زهر واستخدام بعضها فى موضوعات الهزل والمجون والدعابة ، وقد وصف بأنه لم يدع موشحة تجرى على ألسنة الناس بتلك البلاد إلا عمل فى عروضها ورويها موشحة على الطريقة المذكورة التى تشبه طريقة ابن حجاج البغدادى (٢) ، ومن موشحاته التى ذكر ابن سعيد أنهـا مقلوبة موشحته التى يقول فى مطلعها :(٣)

قد عولت هذه العرود على قتال مع الفقاح
وأنت يا صاحب المجن إحذر شبا هذه الرماح

---

(١) المقتطف ص ١٥٢ .
(٢) المعجب ص ٣٧٣ .
(٣) المغرب ١٩٧ (مخطوط) .

وقد عارض بها موشحة ابن زهر التى يقول فى مطلعها (١)

هل ينفع الوجد أو يفيد　　أم هل على من بكى جناح
يا منية القلب غبت عنى　　فالليل عندى بلا صباح

وقد قلب ابن حزمون معانى موشحة ابن زهر التي تدور حول الغزل الأنثوى إلى التماجن والغزل بالمذكر (٢).

ولم ينفرد ابن حزمون وحده بقلب موشحات ابن زهر بل شاركه فى ذلك وشاح آخر هو أبو الحجاج يوسف بن موراطير، وكان محباً للنوادر والتماجن، وأورد ابن أبى أصيبعة رواية تشير إلى قلبه لإحدى موشحات ابن زهر فقال: «حدثنى القاضى أبو مروان الباجى قال: كنا فى تونس مع الناصر (الموحدى) وكان فى العسكر غلاء وقل جود الشعير، فعمل أبو الحجاج بن موراطير موشحاً فى الناصر وأتى فى ضمنه تغيير بيت عمله الحفيد أبو بكر بن زهر فى بعض موشحاته، وذلك أن ابن زهر قال:

ما العيد فى حلة وطاق　　وشم طيب
وإنما العيد فى التلاقى　　مع الحبيب

فقلبه ابن موراطير وقال:

ما العيد فى حلة وطاق　　من الحرير
وإنما العيد فى التلاقى　　مع الشعير

---

(١) طبقات الاطباء ٢/٧٣.

(٢) المغرب ١٩٧ (مخطوط).

فأطلق له الناصر عشرة أمداد شعير كانت قيمتها فى ذلك الوقت خمسين ديناراً » (١).

وكان لابن زهر الحفيد منتدى أدبى يقصده الأدباء وتدور فيه المساجلات والمناقشات ، ولحسن الحظ فقد بقيت روايات قليلة تصور بعض ما كان يدور فى هذا المجال ، فمن ذلك ما يذكره ابن سعيد من أنه « جرى فى مجلس أبى بكر بن زهر ذكر لأبى بكر الأبيض ، فغض منه أحد الحاضرين ، فقال ابن زهر : كيف تغض ممن يقول :(٢)

ما لذ لى شرب راح على رياض الأقاح
لولا هضيم الوشاح إذا انثنى فى الصباح

وفى معرض إعجابه بغيره من الوشاحين يقول ابن زهر فى أحد مجالسه « ما حسدت وشاحاً على قول إلا ابن بقى حين وقع له :(٣)

أما ترى أحمد فى مجده العالى لا يلحق
أطلعه المغرب فأرنا مثله يا مشرق

وذكر الأعلم البطليوسى أنه سمع أبا بكر بن زهر يقول : « كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله .(٤)

---

(١) طبقات الاطباء ٢/٧٨ .

(٢) المقتطف ١٥٢ .

(٣) نفسه ١٥٢ .

(٤) نفسه ١٥٢ .

بدر تم　　شمس ضحى　　غصن نقا　　مسك شم
ما أتم　　ما أوضحا　　ما أورقا　　ما أنم
لاجرم　　من لمحا　　قد عشقا　　قد حرم

ويذكر ابن سعيد أن سهل بن مالك الغرناطي دخل على ابن زهر ـ وقد أسن وعليه زى البادية إذ كان يسكن بحصن سبتة ـ ، فلم يعرفه ، فجلس حيث وجد ، وجرت المحاضرة أن أنشد لنفسه موشحة وقع فيها :

كحل الدجى يجرى　　من مقلة الفجر　　على الصباح
ومعصم النهر　　في حلل خضر　　من البطاح

فتحرك ابن زهر وقال : أنت تقول هذا ؟ قال : اختبر . قال: ومن تكون؟ فعرفه ، فقال : ارتفع والله ما عرفتك » (١).

ويورد ابن سعيد رواية أخرى على لسان يوسف بن عتبة الإشبيلي يقول فيها : « ومن المجالس التى جرت لى معه ، ولم أكن لمراده فيها بامعه ، أنه قال لى يوماً ونحن فى محفل من أهل هـذه الصناعة ـ أى الموشحات ـ وما منهم إلا من هو موفور البضاعة : لقد تيم أهل غرناطتكم بموشحة مهرم التى يقول فيهـا :

« ورداء الأصيل　　يطويه كف الظلام »

فقلت له : تنصف أو تنصرف ؟ فقال : ستجدنى إن شاء الله من المنصفين. فقلت له : أليس يعذرون على ذلك وشيخكم إمام الوشاحين أبو بكر بن زهر

---

(١) المقتطف ١٥٢ .

لما سمع هذا الذى نخروا به أظهر استحسان مثله من الأدباء وقال : أين كنا نحن عن هذا الرداء ؟! » (١).

وهذه الروايات تشير إلى أن ابن زهر كان موضع التقدير والإجلال من أدباء عصره ، فهو إمام الصناعة ، المقدم فيها ، وهو الذى يعتد بآرائه وأحكامه، ولكن : ما الذى أعجب ابن زهر فى هذه الموشحات التى أشرنا إليها ؟

إن هذه الموشحات التى نالت استحسان ابن زهر تمثل من وجهة نظره النموذج الأعلى للموشح ، وهذه الموشحات تتمثل فيها بعض السمات التى تقوم عليها طريقة ابن زهر ، ففيها المعانى البسيطة ، والألفاظ العذبة ، والسياق الحلو المسترسل ، والموسيق الهزازة ، والخرجة الطريفة المبتكرة ، ففى موشحة الأبيض يمزج الوشاح فى قفل واحد بين الخمر والطبيعة والغزل ، وتتلاحم الموضوعات الثلاثة التى قام عليها الموشح فى الأصل تلاحماً قوياً مع سهولة فى الصياغة ، ورشاقة فى الموسيقى . وقد أشرنا من قبل إلى مبعث إعجاب ابن زهر بخرجة ابن بقى . أما إعجابه بموشحة عبادة القزاز فيرجع إلى ما تميزت به من حسن التقسيم فى الفقر ، وجمال التجزئات ، واستقلال العبارات بمعانيها ، والافتنان فى الترصيع والتخفف من قيود الإعراب بالوقف فى نهاية الفقر .

وتشير الموشحتان الأخريان إلى إعجاب ابن زهر بتوفيق الوشاحين فى رسم صورها ، وفى قدرتها الفائقة على التشخيص وتجسيد المعانى ، فقد استحال الظلام فى واحدة منها إلى كائن حى يطوى رداء الأصيل ، أما فى موشحة

---

(١) اختصار القدح ص ١٦١ — ١٦٢ .

سهل بن مالك الغرناطي فقد بلغت الصورة قدراً كبيراً من الجمال ، فقد تشخص الدجى والفجر والنهر ، وأخذت هذه المظاهر زينتها ، وبدت في أبهى حللها .

وهذه الخصائص التي أعجب بها ابن زهر هي التي تقوم عليها طريقته التي تجمع بين بساطة المعنى ، وشفافية اللفظ، وجمال الصورة ، ورشاقة الموسيقى ، مماهياً له أن ينفرد بالإمامة بين وشاحي عصره، وأن يكون صاحب طريقة في التوشيح يحتذيها كثير من الوشاحين .

الفصل السادس

ابن زهـــر ... الشاعر

شـــعره :

إذا كان ابن زهر الحفيد قد انفرد بالإمامة فى الطب ، و إذا كانت شهرته كوشاح قد طبقت الآفاق ، فانه عرف أيضاً كشاعر مجيد ، وقد اعترف بهذه الحقيقة غير واحد ممن ترجموا له ، فقال ابن أبى أصيبعة إنه : « عانى عمل الشعر و أجاد فيه » (١) كما أشار إلى ذلك ياقوت فى معجمه . (٢)

ويفهم مما ذكره أصحاب التراجم أنه روى له شعر كثير ، ويقول تلميذه ابن دحية إنه استجازه فى جميع تصانيف أسلافه وتصانيفه وجميع شعره ونثره وتواليفه . (٣)

ولكن مما يؤسف له أن أغلب شعر ابن زهر ضاع ولم يصلنا منه إلا قدر ضئيل ، فالباقى من شعره عشر قصائد ومقطعات ، ثلاث منها فى الغزل ، وقطعتان فى الخمر ، والخمس الباقية تتناول موضوعات أخرى ، فواحدة فى التشوق إلى ولده ، وأخرى فى الشيب ، وثالثة فى زهر الكتان ، ورابعة في وصف كتاب جالينوس ، والأخيرة أوصى أن يكتب بها على قبره .

وتتراوح قصائده فى الغزل بين العفوية والتصنع ، ونمثل للضرب الأول بقوله : (٤)

---

(١) طبقات الأطباء ٢/٦٨ .

(٢) معجم الأدباء ١٨/٢١٧ .

(٣) المطرب ص ٢٠٧ .

(٤) نفح الطيب ٣ ٤٦٨ .

يا من يذكرنى بعهد أحبتى طاب الحديث بذكرهم ويطيب
أعد الحديث على من جنباته إن الحديث عن الحبيب حبيب
ملأ الضلوع وفاض عن أحنائها قلب إذا ذكر الحبيب يذوب
مازال يضرب خافقاً بجناحه يا ليت شعرى هل تطير قلوب

ويحتفظ ابن أبى أصيبعة بقصيدة غزلية لابن زهر تصور ميله إلى الصنعة وكلفه بالمحسنات البديعية ولا سيما التجنيس ، وفيها يقول : (١)

لله ما صنع الغرام بقلبه أودى به لما ألب بلبه
لباه لما أن دعاه وهكذا من يدعه داعى الغرام يلبه
بأبى الذى لا تستطيع لعجبه رد السلام وان شككت فعج به
ظبي من الأتراك ما ترك الضنا ألحاظه من سلوة لمحبه
إن كنت تنكر ما جنى بلحاظه فى سلبه يوم الغوير فسل به
أو شئت أن تلقى غزالا أغيداً فى سربه أسد العرين فسر به
يا ما أميلحه وأعذب ريقه وأعزه وأذلنى فى حبه
أو ما أليطف ورده فى خده وأرقها وأشد قسوة قلبه
كم من خمار دون خمرة ريقه وعذاب قلب دون رائق عذبه
نادى بنفسج عارضيه تعمداً يا عاشقين تمتعوا من قربه

ولا يصور ما بقى من غزله امرأة معينة واضحة الملامح والسمات ، وإن كان يشير فى أحد أبياته إلى أن يهواها بعيدة المنال فيقول : (٢)

---

(١) طبقات الأطباء ٢/ ٧٠ – ٧١ .

(٢) المطرب ص ٢٠٧ .

رمت كبدى أخت السماك فأقصدت ألا بأبى رام يصيب ولا يخطى

ويردد فى غزله المعانى والأوصاف القديمة كقوله : (١)

قريبة ما بين الخلاخل إن مشت بعيدة ما بين القلادة والقرط

وينطوى غزله على بعض الجوانب الحسية، وقد يمزج أحيانا بين الغزل والخمر كقوله : (٢)

ولى حبيب مليح الدل ذو غنج حلو الشمائل ما فى لثمه باس
فان تعذر أو عزت مطالبه فالكأس والكيس وسواس وخناس

ويكثر ابن زهر من تضمين الحكم والأمثال فى شعره ، وترتبط هذه الحكم غالباً بمعنى واحد قد يكون مستمداً من طبيعة مهنته وتجربته فى الحياة ، وهذا المعنى يتصل بفكرة الفناء والذبول والانتهاء ، وهذا ما يتضح فى مثل قوله : (٣)

هون عليك فهذا لابقاء له أما ترى العشب يفنى بعد ما نبتا

ويتكرر هذا المعنى فى قوله : (٤)

نعمت بها حتي أتيحت لنا النوى كذا شيم الأيام تأخذ ما تعطى

ويشير إلى قصر عمر الإنسان فيقول (٥)

---

(١) المطرب ص ٢٠٧ .

(٢) جيش التوشيح ص ٢٧٤ .

(٣) طبقات الأطباء ٢/٧٠ .

(٤) المطرب ص ٢٠٧ .

(٥) جيش التوشيح ص ٢٧٤ .

هذى الخلاعة لا شيء سمعت به   فاستغنم اللهو إن العمر أنفاس

وهو يشير إشارة واضحة إلى طبه ومعالجته للناس حين يقارن بين حالته وهو حى يداوى الناس حذار الموت وحالته حين يصير رهناً للموت ، فيقول وقد أوصى أن يكتب بها على قبره : (١)

تأمل بفضلك يا واقفاً   ولاحظ مكاناً دفعنا إليه
تراب الضريح على صفحتى   كأنى لم أمش يوماً عليه
أداوى الأنام حذار المنون   فها أنا قد صرت رهناً لديه

ويرسم ابن زهر صوره بمهارة فائقة مثل هذه اللوحة الفنية التى يصور فيها الندماء وقد أحدثت الخمر أثرها فى نفوسهم وأجسادهم ، فيقول : (٢)

وموسدين على الأكف خدودهم   قد غالهم نوم الصباح وغالنى
ما زلت أسقيهم وأشرب فضلهم   حتى سكرت ونالهم ما نالنى
والخمر تعلم كيف تطلب ثأرها   أنى أملت إناءها فأمالنى

ويرق ابن زهر كثيراً فى شعره الذاتى ، ويتضح ذلك فى قصيدته التى نظمها فى شيخوخته حين غلب عليه الشيب ، وفيها يقول : (٣)

إنى نظرت إلى المرآة إذ جليت   فأنكرت مقلتاى كل ما رأتا
رأيت فيها شييخا لست أعرفه   وكنت أعرف فيها قبل ذاك فتى
فقلت أين الذى مثواه كان هنا ؟   متى ترحل عن هذا المكان ؟ متى ؟

---

(١) نفح الطيب ٣/٤٣٤ .
(٢) المطرب ص ٢٠٧ .
(٣) طبقات الأطباء ٢/٧٠ .

فاستجهلتنى وقالت لى وما نطقت قد كان ذاك وهذا بعد ذاك أتى
هون عليك فهذا لا بقاء له أما ترى العشب يفنى بعدما نبتا
كان الغوانى يقلن يا أخي فقد صار الغوانى يقلن اليوم : يا أبتا

وتفيض الأبيات التى نظمها فى التشوق إلى ولده الصغير بالعاطفة الإنسانية الجياشة (١) .

كما تعكس النماذج الباقية من شعر ابن زهر تأثره بالموروث الشعرى القديم ، وقد مر بنا فى غير هذا الموضع وصف بعض أصحاب كتب التراجم له بأنه كان كثير الحفظ لأشعار الجاهلية والمولدين (٢) ، ويؤكد شعره هذه الحقيقة ، فهو فى قوله : (٣)

كان الغوانى يقلن يا أخى فقد صار الغوانى يقلن اليوم يا أبتا

ينظر إلى قول الأخطل : (٤)

وإذا دعونك عمهن فانه نسب يزيدك عندهن خبالا
وإذا دعونك يا أخى فانه أدنى وأقرب خلة ووصالا

ويزعم ابن خلكان أن ابن زهر ـ فى أبياته التى وصف فيها ندماءه والتى ذكرناها من قبل ، قد ألم بأبيات مشهورة فى الموضوع نفسه لأبى غالب عبيد

---

(١) طبقات الأطباء ٢/ ٧٠ .
(٢) التكملة ٢ ٥٥٥ .
(٣) طبقات الأطباء ٢/ ٧٠ .
(٤) ديوان الاخطل ص ٤٣ .

الله بن هبة الله بن الأصباغى (١) .

وعلى أية حال ، فان النماذج القليلة التى بقيت من شعر ابن زهر لا تجعلنا نذهب إلى أبعد من ذلك فى الحكم على شعره .

(١) وفيات الأعيان ٤/٤٣٥ .

مجمـــوع
أشعـار ابن زهــــر
وموشحـاته


الشعر

(١)

قال ابن زهر يتغزل :([1]) (الكامل)

يا من يذكرني بعهد ([2]) أحبتي طاب الحديث بذكرهم ويطيب
أعـد الحديث على من جنباته إن الحديث عن الحبيب حبيب
ملأ الضلوع وفاض عن([3]) أحنائها قلب إذا ذكر الحبيب يذوب
ما زال يضرب خافقاً بجناحه ([4]) يا ليت شعرى هل تطير قلوب

(٢)

وقال فى زهر الكتان :([5]) (الكامل)

أهـلا بزهر اللازورد ومرحبا فى روضة الكتان تعطفه الصبا
لوكنت ذا جهل لخلتك لجـة وكشفت عن ساق كما فعلت سبا

---

(١) نفح الطيب ٣/٤٦٨ ، عنوان الدراية ص ٨١ ، وورد البيت الثانى فقط فى طبقات الأطباء ٢/٧٠ .

(٢) عنوان الدراية : بذكر .

(٣) عنوان الدراية : من .

(٤) عنوان الدراية : ما زال يخفق ضارباً بجناحه .

(٥) نفح الطيب ٣/٤٦٨ .

(٣)

وقال يتغزل :[١] (الكامل)

لله ماصنع الغرام بقلبه ... أودى به لمـا ألب بلبه
اباه لمـا أن دعاه وهكذا ... من يدعـه داعى الغرام يلبه
بأبى الذى لا تستطيع لعجبه ... رد السلام وإن شككت فعج به
ظبي من الأتراك ما ترك الضنا ... ألحاظه من سلوة لمحبه
إن كنت تنكر ما جنى بلحاظه ... فى سلبه يوم الغوير فسل به
أو شئت أن تلقى غزالا أغيداً ... فى سربه أسد العريق فسر به
ياما أميلحه وأعذب ريقه ... وأعزه وأذلنى فى حبه
أو ما أليطف ورده فى خده ... وأرقها وأشد قسوة قلبـه
كم من خمار دون خمرة ريقـه ... وعذاب قلب دون رائق عذبه
نادى بنفسج عارضيه تعمداً ... ياعاشقين تمتعوا من قربـه

---

(١) طبقات الأطباء ٢/ ٧٠ـ٧١ .

وجاء فى تصديرها : « أنشدنى شيخنا علم الدين قيصر بن أبى القاسم بن عبد الغنى بن مسافر الحنفى المهندس للحفيـــد أبى بكر بن زهر وهى بديعـة بالمعنى ، كثيرة التجنيس ... الأبيات » .

(٤)

وقال حين شاخ وغلب عليه الشيب (١) (البسيط)

إنى نظرت إلى المرآة(٢) إذ جليت   فأنكرت مقلتاى كل مارأتا
رأيت فيها شييخا(٣) لست أعرفه   وكنت أعرف فيها قبل ذاك فتى(٤)
فقلت أين الذى مثواه(٥) كان هنا؟   متى ترحل عن هذا المكان ؟ متى؟
فاستجهلتنى وقالت لى وما نطقت   قد كان ذاك وهذا بعد ذاك أتى(٦)
هون عليك فهذا لابقاء له   أماترى العشب يفنى بعد ما نبتا(٧)
كان الغوانى يقلن يا أخى فقد   صار الغوانى يقلن اليوم: يا أبتا

(١) طبقات الأطباء ٢/٧٠ . وصدر بقول ابن أبى أصيبعة : « أنشدنى القاضى أبو مروان الباجى قال : أنشدنى أبو عمران بن عمران الزاهد المرتلى القاطن باشبيلية قال: أنشدنى الحفيد أبو بكر بن زهر لنفسه فى آخر عمره...الأبيات» . والأبيات ماعدا الخامس فى نفح الطيب ٢/٢٤٩ – ٢٥٠ مع بعض الخلاف ، وهى أيضا فى وفيات الأعيان ٤/٤٣٥ ، وورد منهـا البيتان الأول والثانى فى معجم الأدباء ١٨/١٢٨ كما وردت فى جيش التوشيح ص ٢٧٤ ، ونسبت فى صلة الصلة الى ابى بكر يحيي بن محمد الانصارى المعروف بالأركش لكن أغلب المصادر تنسبها لابن زهر . أنظر : صلة الصلة ص ١٨٤–١٨٥ ترجمة رقم ٣٦٥ وقد ورد منها بيتان فقط .

(٢) فى نفح الطيب : قد .

(٣) فى نفح الطيب : شويخاً .

(٤) فى نفح الطيب : وكنت أعهده من قبل ذاك فتى .

(٥) فى نفح الطيب : بالأمس .

(٦) رواية المقرى :

فاستضحكت ثم قالت وهى معجبة ..   ان الذى أنكرته مقلتاك أتى

(٧) لم يرد هذا البيت فى نفح الطيب .

(٨) فى رواية المقرى :

كانت سليمى تنادى يا أخى وقد   صارت سليمى تنادى اليوم : يا أبتا

(٥)

وقال :(١) (البسيط)

مغنى خصيب وباب مرتج أبداً والدن والزق والإبريق والطاس
هذى الخلاعة لاشىء سمعت بـه فاستغنم اللهو إن العمر أنفاس
ولى حبيب مليح الدل ذو غنج حـلو الشمائل ما فى لثمـه باس
فان تعـذر أو عزت مطالبه فالكأس والكيس وسواس وخناس

(٦)

وقال (٢) (الطويل)

رمت كبدى أخت السماك فأقصدت ألا بأبى رام يصيب ولايخطى
قريبه ما بين الخلاخل إن مشت بعيدة ما بين القلادة والقرط
نعمت بها حتى أتيحت لنا النوى كذا شيم الأيام تأخذ ما تعطى

---

(١) جيش التوشيح ص٢٧٤.
(٢) المطرب ص ٢٠٧ . ووردت كذلك فى نفح الطيب ٣/ ٤٣٤

(٧)

ومما نسب إليه قوله فى كتاب جالينوس المسمى بحيلة البرء :(١)

(الخفيف)

حيلة البرء صنعة لعليل يترجى الحياة أو لعليله
فاذا جاءت المنيـة قالت : حيلة البرء ليس فى البرء حيله

(٨)

وقال :(٢) (الكامل)

وموسدين على الأكف خدودهم قـد غالهم نوم الصباح وغالنى
ما زلت أسقيهم وأشرب فضلهم حتى سكرت ونالهم ما نالنى
والخمر تعلم كيف تطلب ثأرها(٣) إنى أملت إناءها فأمالنى

---

(١) نفح الطيب ٢٤٨/٢ .
(٢) المطرب ص ٢٠٧ ، وفيات الأعيان ٤٣٤/٤ .
(٣) فى وفيات الأعيان : والخمر تعلم حين تأخذ ثارها .

(٩)

وقال يتشوق إلى ولده باشبيلية وهو بمراكش :(١)

(المتقارب)

ولي واحد مثل فرخ القطـا صغير تخلف (٢) قلبي لديه

نأت عنه داري فياوحشتي(٣) لذاك الشخيص(٤) وذاك الوجيه

تشوقني وتشوقتـه فيبكي علي وأبكي عليه

وقد تعب الشوق ما بيننا فمنـه إلى ومني إليه

(١)

وقال وأوصى أن يكتب على قبره :(٥) (المتقارب)

تأمل بفضلك(٦) ياواقفـاً ولاحظ مكانـاً دفعنا إليه

تراب الضريح على صفحتي(٧) كأني لم أمش يوماً عليه

أداوي الأنام حذار المنون(٨) فها أنا قد صرت رهناً لديه

---

(١) طبقات الأطباء ٢/٧٠ وصدرت بقول ابن أبي أصيبعة : « أنشدني محيى الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد العربي الحاتمي قال : أنشدني الحفيد أبو بكر بن زهر لنفسه يتشوق الى ولده...الأبيات » ووردت أيضا في نفح الطيب ٢/٢٤٨ ، الوافي بالوفيات ٤/٣٩.

(٢) رواية نفح الطيب : تخلفت .

(٣) رواية نفح الطيب : وأفردت عنه فيا وحشتا ، واختلف ترتيب الأبيات في الوافي بالوفيات .

(٤) في الوافي : القديد

(٥) نفح ٣/٣٣٤ ، الوافي بالوفيات ٤/٣٩ .

(٦) رواية الوافي : بحقك .

(٧) رواية الوافي : وجنتي .

(٨) ورواية الوافي : الحمام .

الموشحات

نقدم فى الصفحات التالية مجموعة النصوص التى وصلتنا من موشحات ابن زهر وتبلغ فى جملتها خمساً وعشرين موشحة ، يوجد منها عدد قليل غير مكتمل .

وتقتضى الأمانة العلمية أن نعترف بالجهد الكبير الذى بذله أستاذنا الدكتور سيد غازى فى جمع وتحقيق الموشحات الأندلسية فى عصورها المختلفة ، ومع ذلك فاننا لم نعتمد على ديوان الموشحات الأندلسية وحده ، بل اعتمدنا على جمع موشحات ابن زهر من مظانها الأصلية . وبالنسبة للموشحات التى وردت فى غير مصدر ، فاننا لم نقتصر فى إيرادها على مصدر واحد أو رواية معينة بل حاولنا أن نتخير من الروايات أفضلها من حيث السياق واللغة والوزن . ورتبنا الموشحات حسب الترتيب الهجائى للمطالع .

وقد تيسر لنا العثور على موشحة كاملة لابن زهر لم يكن معروفاً منها سوى المطلع وهى موشحة (هات ابنة العنب) ، كما تسنى لنا العثور على بعض الأجزاء التى كانت ساقطة من موشحة أخرى هى (ما للموله ٭ من سكره لا يفيق) ونتمنى أن تكشف الأيام القادمة عن موشحات أخرى مجهولة لابن زهر .

وبالله التوفيق ... م

(١)(*)

كل له هواك يطيب
أنا وعاذلى (١) والرقيب

* * *

أما أنا فحيث (٢) تشاء
هجر (٣) ولوعة وعناء
يا ويلتاه (٤) مما أساء
قتلتنى (٥) وأنت الطبيب
فأنت لى عدو حبيب (٦)

(*) وردت فى :

جيش التوشيح ص ٢٠٨ـ٢٠٩ ، العذارى المائسات ص ٧٥ ، عدة الجليس ٦٣ (عن الزجل فى الأندلس ص ٩) .

(١) جيش التوشيح : عاذلى .

(٢) العذارى المائسات : فحيثما .

(٣) « « : وجد .

(٤) « « : واحسرتاه .

(٥) « « : أمرضتنى .

(٦) « « : وأنت لى عدو وحبيب .

* * *

لله عيشى (١) ما أمرا
لقد شقيت سرا وجهرا
دمعى جرى فصار بحرا (٢)
واستبطن الضلوع لهيب (٣)
ذابت بحره وتذيب (٤)

* * *

مالى بقلتيك حويل
ولا إلى رضاك سبيل
يا من يحول فيما يقول
أشكو النوى وأنت قريب
أمر كما تراه عجيب

---

(١) جيش التوشيح : عيش .
(٢) جيش التوشيح : دمعا جرى فصادف بحرى .
(٣) العذارى المائسات : استمطرت ضلوعى لهيب .
(٤) جيش التوشيح : ذابت بحرها وتذوب .
(٤) العذارى المائسات : تذيب .

* * *

لم يدر عاذلى ورقيبى
أن الهوى أخف ذنوبى
وأنت ياعذاب القلوب
كم تشتكى إليك القلوب
وأنت معرض لا تجيب

* * *

قالت سماك (١) أنت ملول
فقلت ودك المستحيل
فأنشد النصوح(٢) يقول
من خان حبيب(٣) اللهحسيب
الله يعاقبه(٤) أو يثيب(٥)

---

(١) جيش التوشيح : على ، العذارى المائسات : سيماك ، وفى عدة الجليس : سماك (من الزجل فى الأندلس ص ٩) .

(٢) عدة الجليس : فأنشأ النصيح .

(٣) جيش التوشيح : حبيبه .

(٤) عدة الجليس : يعاقب .

(٥) عدة الجليس : ويثيب .

(٢)(*)

هات ابنة العنب واشرب

* * *

يا صاحبي ما تقول
ماء وظل ظليل
وقهوة سلسبيل
ظفرت بالطرب فاطرب

* * *

ظمئت ويحى وما
كنت أخاف الظما
ما ذاق ماء اللمى
وقهوة كالشنب مشرب

* * *

(*) وردت فى (الروضة الغنساء فى محاسن الغناء) مخطوطة الخزانة العامة بالرباط ، نقلا من (المستدرك على ديوان الموشحات الأندلسية) ص ٥٥–٥٦ .

ولم ترد فى مصادر أخرى فيما عدا نفح الطيب الذى أورد فقط المطلع وقفل البيت الرابع فى معرض رواية جاء فيها : « ولما قال (ابن زهر) الموشحة التى أولها :

هات ابنة العنب واشرب

الى قوله :

وفـــده بـــأبى ثم بى

سمعها أبوه فقال : يفديه بالعجوز السوء أمه ، وأما أنا فلا » .

انظر نفح الطيب ٤٦٨/٣ .

ظبي هضيم الوشاح
يرعي بمولي الملاح
أذل أسد الكفاح
في موضع العجب فاعجب

* * *

يا زائري في المنام
بحق بدر التمام
بلغه عني السلام
وقده[1] بأبي ثم بي

* * *

وسله أن يصحبا
تحية للصبا
وغنه إن أبى
رد السلام يا صبي بالنبي

(١) في الروضة الغناء: وفاده وما أثبتناه من نفح الطيب.

(٣)(*)

ما العيد في حلة وطاق	وشم طيب
وإنما العيد التلاقي	مع الحبيب

(*) لا نعرف من الموشحة غير هذا القفل ، وقد ورد في طبقات الأطباء ٢/٧٨ منسوباً لابن زهر الحفيد ، وفي المقتطف ١٥١ ، مقدمة ابن خلدون ٤/١٣٣١ ، أزهار الرياض ٢/٢١٠ ، نفح الطيب ٧/ص٨ (نقلا عن ابن خلدون) ورد هذا القفل منسوباً لوشاح آخر يسمى ابن مؤهل (ابن موهل) وأغلب الظن أنه ابن موهد الشاطبي الذي ذكره ابن سعيد في المغرب ٢/٣٩٠ وأورد له موشحة يقول في مطلعها :

أما طربت الى الحميا	ما بين ندمان وساق
والبدر في عقب الثريا	والليل ممدود الرواق

وقال عنه ابن سعيد انه سكن مرسية ومدح بها ابن مردنيش » . وله ترجمة في التكملة لابن الأبار ص ٣٠٧ ، وفي زاد المسافر ص ٦٣ ، وتدل أخباره أنه كان معاصراً لابن زهر الحفيد وتوفي سنة ٦١٠ هـ أي بعد وفاة ابن زهر بخمسة عشر عاماً ، وقد جاء في طبقات الأطباء أن ابن موراطير نظم موشحة عارض بها موشحة ابن زهر (ما العيد في حلة وطاق...وشم طيب) واستناداً الى هذه الرواية فاننا نرجح نسبة الموشحة لابن زهر الحفيد .

(٤)(*)

فتق المسك بكافور الصباح (١)
ووشت بالروض أعراف الرياح

* * *

فاسقينها قبل نور الفلق
وغناء الورق بين الورق
كاحمرار الشمس عند الشفق
نسج المزج عليها حين لاح
فلك اللهو وشمس الإصطباح

* * *

وغزال سامنى بالملق
وبرى جسمى وأذكى حرقى
أهيف مذ سل سيف الحدق
قصرت عنه أنابيب الرماح (٢)
وثنى الذعر مشاهير الصفاح (٣)

* * *

(*) وردت فى : نفح الطيب ٢/٢٥٢–٢٥٣ ، معجم الأدباء ١٨/٢٢١ .
(١) فى معجم الأدباء : شاب مسك الليل كافور الصباح .
(٢) فى معجم الأدباء : قصرت عنه مشاهير الصفاح .
(٣) فى معجم الأدباء : وانثنت بالذعر أغصان الرماح .

* * *

صار بالدل (١) فؤادي كلفا

وجفون ساحرات (٢) وطفا

كلما قلت جوى الحب انطفا

أمرض القلب بأجفان صحاح

وسبي العقل بجد ومزاح

* * *

يوسفى الحسن عذب المبتسم

قمرى الوجه ليلى اللمم

عنترى البأس علوى (٣) الهمم

غصنى القد مهضوم الوشاح

مادرى الوصل طائى السماح

---

(١) معجم الأدباء : بالذل .

(٢) معجم الأدباء : ساهرات .

(٣) معجم الأدباء عبدى .

* * *

قد بالقد فؤادى هيفا
وسبي عقلى لما انعطفا
ليته بالوصل أحيا دنفا
مستطار العقل مقصوص الجناح
ما عليه فى هواه من جناح

* * *

يا على أنت نور المقل
جد بوصل منك لى يا أملى
كم أغنيك إذا ما لحت لى
طرقت والليل ممدود الجناح (١)
مرحباً بالشمس من(*) غير صباح (٢)

---

(١) ، (٢) هذا بيت لابن حمديس . أنظر ديوانه ص ٨٢ واقتبسه ابن زهر وجعله خرجة لموشحته .

(*) ديون ابن حمديس : فى .

(٥)(*)

هل ينفع الوجد أو يفيد   أم هل على من بكى جناح
يامنية القلب غبت عنى   فا لليل عندى بلا صباح

* ٥ *

أفديه من معرض تولى   لا عين منه ولا أثر
عذبنى فى هواه كلا   لم يبق منى ولم (١) يذر
يا عين عنى(٢) فليس إلى   صبر على الدمع والسهر
ويفعل الشوق ما يريد   فى كبد كلها جراح
يا مخجل البدر لاتسلنى   عن جور ألحاظك الملاح

* * *

زاد على بهجة النهار   من حسنه الدهر فى ازدياد
لحظ له سطوة العقار   يفعل فى العقل ما أراد
خداه كالورد فى البهار   يقطف باللحظ أو (٣) يكاد
وذلك المبسم البرود   حصاه در وصرف راح
أو مثل ما قلت ماء مزن   يسقى به يانع الأقاح

* * *

(*) وردت فى طبقات الأطباء ٢/٧٣ .

(١) فى طبقات الأطباء : ولا ، والتصحيح عن ديوان الموشحات الأندلسية ٢/١٠٩ .

(٢) « « « « : عينى ، « « « « « .

(٣) « « « « : أم ، « « « « « .

يا من له أبدع الصفات   يا غصن يا دعص يا قمر
غبت فلم يأت منك آت   فاستوحش السمع والبصر
لولا صبا تلكم الجهات   لذاب قلبي من الفكر
يا أيها النازح البعيد   جاءت بأنبائك الرياح
إن الصبا عنك أخبرتني   ما اهتز روض الربى وفاح

* * *

يا ساحراً فوق كل ساحر   ومن له حسنه أصف
وجه (١) كالصباح باهر   أردية الحسن يلتحف
كالروض حفت به الأزاهر   يقطف باللحظ إن (٢) قطف
كالبدر في ليلة السعود   أشرق لألاؤه ولاح
كالغصن اللدن في التثني   تهز أعطافه الرياح

* * *

(١) كذا بالأصل، والوزن يقتضي : وجهك .
(٢) في طبقات الأطباء : أم، والتصحيح من ديوان الموشحات الأندلسية ٢/ ١١٠ .

من لى بمخضوبة البنان ممشوقة القد والدلال
من هجرها مشبه الزمان ماض ومستقبل وحال
فيها رثى عاذلى لشانى ثم انثنى ضاحكاً وقال
عاشق ومسكين الله يريد وارث (١) لمن يعشق الملاح
فداع يهجرن (٢) أو يصلنى ليس على ساحر اقتراح

☼ ☼ ☼

---

(١) فى طبقات الأطباء : وارض، والتصحيح عن ديوان الموشحات الأندلسية ٢/١ ١ .

(٢) في طبقات الأطباء : فدع يهجر، والتصحيح من ديوان الموشحات الاندلسية .

(٦)(*)

نبه الصبح رقدة النائم   فا نتبه للصبوح(١)
وأدر قهوة لها شان   ذات عرف يفوح

* * *

ياحميا الكئوس لاجفت (٢)   منك أرض الكريم
ولك الخير كلما التفت   ورقات الكروم
واعمرى لنعم ما حفت   ببفان النديم
هاتها قبل بكرة اللائم   ورواح النصيح
وأدر أن العذول شيطان   يغتدى ويروح

* * *

يا أخى قد نبذت سلطانى   وخلت العذار
إنما أضلعى وأجفانى   بين ماء ونار
رب إن الهوى تولانى   رب أين الفرار
جملة الأمر أننى هائم   بغزال مليح
فدع العاذلين لا كانوا   إن حبى صحيح

(*) وردت فى العذارى المائسات ص ٥٦ ، وورد المطلع فقط فى المغرب ١/٢٧٩ .

(١) في العذاري المائسات : لاخفت ، والتصحيح من ديوان الموشحات الأندلسية.

(٧)(*)

هل لقلبي قرار
والأحبة ساروا رواحا

* * *

يا فؤادي عزاء
كان ما الله شاء
هل ترد القضاء
فلتوال الدعاء
أن يرد القطار
فيعود المزار سراحا

* * *

كتموا الارتحالا
عن كئيب نكالا
ثم زموا الجمالا
وعلوه الجمالا

(*) وردت في : جيش التوشيح ص ١٩٨ .

حيث ساروا أناروا
والليالى أصاروا صباحا

* * *

إذ نأوا بارتحال
وسروا بالهلال
طالعاً في كمال
من ستور الحجال
ليت أنى جار
لهم ما النهار ألاحا

* * *

تركوا بالمغانى
هائم القلب عان
مغرما بالأمانى
نادباً للحسان
مفردا لا يزار
أوحشته الديار فناحا

لا أسمى حبيبي
خوف واش رقيب
ياعليم الغيوب
أنت تدرى الذى بى
قلبى المستطار
خانه الاصطبار فباحا

* * *

إن نأوا بفؤادى
وتوخوا بعادى
وأراحوا (١) رقادى
يا إله العباد
لقهم حيث ساروا
أنجدو أم أغاروا نجاحا

---

(١) كذا بالأصل والسياق يقتضى : وأزاحوا .

(٨)(*)

يا صاحبيَّ نداء مغتبط بصاحب
لله ما ألقاه من فقد الحبائب
قلب أحاط به الهوى (١)
من كل جانب
أي قلب هائم لايستريح (٢) إلى اللواحى (٣)

* * *

يامن أعانقه بأحناء الضلوع
وأقيمه بدلا من القلب الصديع
أنا للغرام وأنت للحسن البديع
وكلام اللائم شيء يمر مع الرياح

* * *

أنحى على رشدى وأفقدنى (٤) صلاحى
ثغر ثنى الأبصار عن نور الأقاح
يسقى بمختلطين من مسك وراح
كالحباب العائم فى صفحة الماء القراح

* * *

(*) وردت فى جيش التوشيح ص ٢٠٥–٢٠٦ ، المغرب ١/٢٧٣–٢٧٤ ، طبقات الاطباء ٢/٧٣ ، وقد جاء ترتيب الابيات فى المغرب طبقات الأطباء على هذا النحو : ١ ، ٣ ، ٤ ، ٢ ، ٥ .

(١) طبقات الأطباء ، وجيش التوشيح : الجوى.

(٢) فى المغرب لا يستفيق .

(٣) فى المغرب وطبقات الاطباء : من اللواحى .

(٤) فى المغرب : وأعدمني .

من لى به صبحا (١) نجلى بالظلام(٢)
علقت من وجناته بدر التمام
وعلقت من أعطافه لدن القوام
كالقضيب الناعـــــــم لم يستطع حمل الوشاح

* * *

حملتنى فى الحب مالا يستطاع
شوقا (٣) يراع لذكره (٤) من لا يراع
بل أنت أظلم (٥) من له أمر (٦) مطاع
ومع أنك ظالمى (٧) أنت ه مناى (٨) واقتراحى

(١) فى المغرب : بدر ، وفى طبقات الاطباء : بدراً .
(٢) فى المغرب : وفى طبقات الاطباء : فى الظلام .
(٣) فى المطرب : وجداً .
(٤) فى المغرب : بذكره .
(٥) فى المغرب : ولانت أجور .
(٦) فى طبقات الأطباء : حكم .
(٨) فى المغرب وفى طبقات الاطبقاء ، وفى جيش التوشيح : ظالم .
(٨) فى جيش التوشيح : أنت هو منائى ، وفى المغرب أنت ه مناى ، وفى طبقات الأطباء : أنت هو سولى واقتراحى .

(٩)(*)

زعمت أنفاسى الصعدا أن أفراح الهوى نكد

* * *

هام قلبى فى معذبه
وأنا أشكو لمطلبه
إن كتمت الحب مت به
وإذا ما صحت واكبدا فرح الأعداء وانتقدوا

* * *

أيها الباكى على الطلل
ومدير الراح بالأمل
أنا من عينيك فى شغل
فدع الدمع السفوح سدى وضرام الشوق تتقد

(*) وردت فى : طبقات الأطباء ٢/٧١ .

مقلة جادت بما ملكت
عرفت ذل الهوى فبكت
وشكت مما بها ورثت
وفؤادى هائم أبدا ما عليه للسلو يد

* * *

إن عينى لا أذنبها
أتبعت قلبي وأتعبها
لنجوم بت أرقبها
رمت أن أحصى لها عددا وهى لايحصي لها عدد

* * *

وغزال يغلب الأسدا
جئت لاستنجاز ما وعدا
فانزوى عنى وقال غدا
أترى ياقوم إش هو غدا فى اى مكان يسكن او نجد

(١٠)(*)

مــد الخـليج ورف الشجر (١)

لقد تعانقا (٢) منظر ومختبر

---

(١) ورد هذا المطلع فى المغرب ١/٢٧١ وقدم لها ابن سعيد بقوله: « أحسن موشحات ابن زهر موشحته التى أولها : مد الخليج ... المطلع ».

وذكر أنها تقدمت فى المتنزهات أى فى أثناء الحديث عن متنزهات اشبيلية ، وقد سقطت من الكتاب مع منصة اشبيلية كما يقول محقق المغرب د . شوقى ضيف .

(أنظر هامش المغرب ١/٢٧١) .

(٢) فى ديوان الموشحات الأندلسية : لقــد تباهى ، وقد اعتمدنا على رواية المغرب المطبــوع .

(١١) (*)

سدلن ظلام الشعور(١)
على أوجه كالبدور

* * *

سفرن فلاح الصباح
هززن قدود الرماح
ضحكن ابتسام الأقاح
كأن الذى فى النحور
تخيرن منه الثغور

* * *

سلوا مقلتى ساحر
عن السحر والساحر
وعن نظر حائر
يريش سهام الفتور
ويرمى خبايا الصدور

(*) وردت فى المطرب ص ٢٠٤ .

لقد همت ويحى بها
وذلل قلبي لها
أما والهوى أنها
لظبي كناس نفور
تغار عليه الخدور

* ° *

حرمت لذيذ الكرى
سهرت ونام الورى
ترى ليت شعرى ترى
أساعات ليلى شهور
أم الليل حولى يدور

* ° *

ظفرت بصب كثيب
... ... ب (١)
... ... ب (٢)
فنكد وعذب وجور
وأسرف غلامك صبور

(١) هذان الغصنان ساقطان من المطرب .

(١٢)(*)

حسب الخليع ملجا روض على غدير
وقهـوة مـداره أنفاسهـا عبـير

* ° *

صفراء بنت دن بالنور تطلع
ينشق كل دجن عنها وينصدع
إبريقهـا يغـنى والكأس يستمع
ولا نزال نرجى للتحادث التكبير
للهم إن أثـاره بين الحشا مثير

* * *

هل الكئوس راحه لذى (١) بلابـل
يا واحـد الملاحه بعد ابن راحل
هذى النوى مباحه فاحفظ وسائلى (٢)
ما للـكئيب منجى إذ بات في سعير
قلب يشب ناره فى أدمع تفور

* * *

(*) وردت فى : جيش التوشيح ص ١٩٦ــ١٩٧ .
(١) فى جيش التوشيح : الا لذى .
(٢) فى جيش التوشيح : وسائل :

قد ملت كل ميل لجانب الصبا
ويل وأى ويـل لكل من صبا
أعيا على ليلى شرقـاً ومغربا
كواكب تزجى (١) تزاحف الكسير
فهن فى استـدارة والليـل كالأسير

* * *

ملك له جنود من طرفه الكحيل
ألحاظـه نـرود فى هذه العقول
وريقه (٢) البرود وخده الأسيل
راح تقل فلجا (٣) كالدر فى النحور
ونـور جلناره فى سوسن نضير

* * *

(١) فى جيش التوشيح : ترجى، وما أثبتناه عن ديوان الموشحات الأندلسية ٩٦/٢.
(٢) فى جيش التوشيح : من ريقه، وما أثبتناه عن ديوان الموشحات الأندلسية .
(٣) فى جيش التوشيح : ثلجا ، والصواب ما أثبتناه .

لمـا نأيت عنى وبت مكمدا

عللت بالتمـنى قلباً مفردا

وإذ قربت منى غدوت منشدا

بشرى لكل(١) من جا باقبال الوزير

أن يعطى (٢) من بشاره ما يعطى البشير

---

(١) فى جيش التوشيح : بشر فى كل ، وما أثبتناه عن ديوان الموشحـات الأندلسية ٦٧/٢ .

(٢) فى جيش التوشيح : وعطى ، وما أثبتناه عن ديوان الموشحات الأندلسية

(١٣)(*)

عـبرة تسيل ودم على الأثر
قـد صبرت حتى لات حين مصطبرى

* * *

لا أطيق كتما ضقت بالأسى ذرعا
زائـر ألمـا يلبس الدجى درعا
حجبوه لمـا صار صورة بدعا
وكـذا الأفول من عوائد القمر
قلمـا تـأتى أمل بلا كدر

(*) وردت فى المغرب ١/٢٧٧ . ولم يذكر منها غير ما أوردناه .

(١٤)(*)

صادني ولم يدر ما صادا
شادن سبى الليث فانقادا
واستخف بالبدر (١) أو كادا
ياله قد(٢) ضم بالغصن أزراره
وبالحقف(٣) زناره

* * *

لو أجاز حكمى عليه
لا قترحت تقبيل نعليه
لا أقول ألثم خديه
أنا من يعظم (٤) والله مقداره
ويلزم (٥) إكباره

(*) وردت فى المغرب ١/٢٧٧–٢٧٨ ، جيش التوشيح ص ٢١٠–٢١٢ ، نفح الطيب ٣/٦٨٤ وجاء فيه : « لما قال (ابن زهر) الموشحة المشهورة التى أولها : « صادنى ولم يدر ما صادا » قال أبو بكر بن الجد: لوسئل عما صاد لقال: تيس بلحية حمراء».

(١) فى جيش التوشيح ، ونفح الطيب : بالشمس .

(٢) فى جيش التوشيح ، يا له قمر ، وفى المغرب . يا له القد .

(٣) فى جيش التوشيح : والحقف .

(٤) فى جيش التوشيح : أعظم .

(٥) فى جيش التوشيح : وألتزم .

يا سماك (١) حسبك أو حسبي
قد قضيت في حبكم نحبي
واحتسبت نفسي في الحب
إنها نفس لذا (٢) الحب مختاره (٣)
وبالسوء أماره

* * *

عارض (٤) الفؤاد بأشجانه (٥)
ومضى على حكم سلطانه
فانبريت في بعض أوطانه
تارة أقبل في الترب (٦) آثاره
وأندبه تاره

* * *

---

(١) في المغرب : يا سناك .

(٢) في المغرب : لدى .

(٣) في المغرب : محتاره .

(٤) في المغرب : عرض .

(٥) في المغرب : لأشجانه .

(٦) في الترب : ساقطة من المغرب .

أيها المـدل بأجفانه

كم (١) وفيت والغدر من شانه

وأقول فى بعض هجرانه (٢)

وعلش حبيب (٣) قطعت الزياره

وعينيك سحاره

---

(١) فى جيش التوشيح : قـد .

(٢) فى المغرب : وأصح من طول هجرانه .

(٣) فى جيش التوشيح : عليش حبيبي .

(١٥)(*)

سلم الأمر للقضا فهو للنفس أنفع(١)

* * *

واغتنم حين أقبلا
وجه بدر تهللا
لا تقل بالهموم لا
كل ما فات وانقضى ليس بالحزن(١) يرجع

* * *

واصطبح بابنة الكروم
من يدى شادن رخيم
حين يفتر عن نظيم
فيه برق قد او مضا ورحيق مشعشع

(*) وردت فى : نفح الطيب ٢/٢٥١ ، العذارى المائسات ص ٩٦ .

(١) فى العذارى المائسات : مع الحزن .

أنا أفـديه من رشا
أهيف القد والحشا
سقى الحسن فانتشا
مـذ تولى وأعرضا ففؤادى يقطع

* * *

من لصب غـدا مشوق
ظل فى دمعه غريق
حين أموا حمى العقيق
واستقلوا بذى الغضا أسفى يوم ودعوا

* * *

ما ترى حين أظعنا
وسرى (١) الركب موهنا
واكتسى الليل بالسنا
نورهم ذا الذى أضا أم مع الركب يوشع(٢)

* * *

(١) فى العذارى المائسات : وبرى .
(٢) ألم ابن زهر هنا بقول أبى تمام :
فوالله ما أدرى أأحلام نائم ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع
(أنظر ديوان أبى تمام ٢/ ٣٢٠) .

(١٦)(*)

يا من تعاطينا الكئوس على ادكاره (١)
وقضى على قلبي فلم يأخذ بثاره
وأقر أحكام القصاص على اختياره
إن أقل حسبي فالجور تأباه الطباع

* * *

علقته ما شئت من حسن بديع
أودى بقلبي واستنام (٢) إلى ضلوعي
فأقامها في (٣) موضع القلب الصديع
شيم الحب تكليف ما لا يستطاع

(*) وردت في : جيش التوشيح ص ١٩٨–١٩٩ .
(١) في جيش التوشيح : اذكاره .
(٢) في جيش التوشيح : واستقام ، وما أثبتناه عن ديوان الموشحات الأندلسية ٧١/٢ .
(٣) في جيش التوشيح : من ، وما أثبتناه من ديوان الموشحات الأندلسية .

* * *

سر الهوى شيء يؤول إلى افتضاح
فالشمس ضاق بحملها طلع الصباح (١)
أخت السماك دعاء من غاظ اللواحي
إن   يهم   قلبي   فالحسن أمار مطاع

* * *

ما للحبيب أجد مرتحلا وسارا
لاصبر لي عنه ولو رمت اصطبارا
ملأ القلوب جوى وأذكاها (٢) أوارا
سل   عن   الركب   هل يستطاع له ارتجاع

* * *

عقلي تحمل إن ألم بى الرقيب
إن المحب لمثلها لا يستريب
ذكر الحبيب فقلت من هذا الحبيب
رب (٣)   يارب   هذا الحبيب اجمعني ماع (٤)

---

(١) في حيش التوشيح : الضياح .
(٢) في جيش التوشيح : أنكاها ، وما أثبتناه من ديوان الموشحات الأندلسية ٧٢/٢ .
(٣) في جيش التوشيح : يا رب ، وما أثبتاه من ديوان الموشحات الأندلسية .
(٤) في جيش التوشيح : معو ، وما أثبتناه من الزجل في الأندلس ص ١٠٠ .

(١٧)(*)

أيها الساق (١) إليك المشتكى قد (٢)دعوناك وإن لم تسمع
ونديم همت في غرته
وشربت(٣) الراح من راحته
كلما استيقظ (٤) من سكرته (٥)
جذب الزق إليه واتكا وسقاني أربعاً في أربع

(*) وردت في : جيش التوشيح ص ٢٠٢–٢٠٤ ، المغرب ١/٢٧٢–٢٧٣ ، دار الطراز ٧٣–٧٤ ، توشيع التوشيح ص ١٢٦–١٢٩ ، المطرب ص ٢٠٥ ، طبقات الأطباء ٢/٧٣ ، معجم الأدباء ١٨/٢١٩ ، الوافي بالوفيات ٤/٤٠ ، العذارى المائسات ص ٥ ، عقود اللآل ٥ ظ ، روض الأدب ١٩٤ .

ترتيب الأبيات في توشيع التوشيح : ١، ٣، ٢، ٤، ٥ . وفي المغرب ١، ٢، ٥، ٣، ٤ .

(١) معجم الأدباء : الشاكي .

(٢) المغرب : كم .

(٣) المغرب وجيش التوشيح : وسقاني ، وفي توشيع التوشيح والعذارى المائسات : وبشرب .

(٤) معجم الأدباء : استيقظت .

(٥) جيش التوشيح : فاذا ما صحا من سكرته .

* * *

غصن بان مال من حيث استوى
بات (١) من يهواه من(٢) فرط النوى (٣)
خافق (٤) الأحشاء موهون (٥) القوى
كلما فكر (٦) في البين بكى ما له(٧) يبكى لما لم يقع

* * *

ما (٨)لعيني عشيت (٩) بالنظر
أنكرت بعدك ضوء القمر
وإذا (١٠) ماشئت فاسمع خبري
عشيت عيناي(١١) من طول البكا وبكى بعضي على بعضي معي

(١) دار الطراز : مات .

(٢) توشيع التوشيح : في .

(٣) جيش التوشيح والمغرب : من خوف النوى .

(٤) في توشيع التوشيح ودار الطراز وطبقات الأطباء ومعجم الأدباء والعذارى المائسات وعقود اللآل : خفق ، وفي جيش التوشيح : قلق .

(٥) جيش التوشيح : مهضوم ، المغرب : مضعوف .

(٦) توشيع التوشيح وعقود اللآل : افكر .

(٧) المغرب : يا له ، وفي توشيع التوشيح والعذارى المائسات : ويحه .

(٨) الوافي بالوفيات : يا .

(٩) جيش التوشيح والعذارى المائسات وعقود اللآل : غشيت وفي المغرب : شقيت، وفي المطرب : شغفت .

(١٠) جيش التوشيح والمغرب ودار الطراز : فاذا .

(١١) جيش التوشيح : شقيت عيني ، وفي طبقات الأطباء : شقيت عيناي ، وفي توشيع التوشيح : عشيت عيني ، وفي عقود اللآل : غشيت عيني ، وفي معجم الأدباء : قرحت عيني .

* * *

ليس لى صبر ولا لى جلد (١)

يا لقومى (٢) عذلوا (٣) واجتهدوا

أنكروا شكواى مما أجد

مثل حالى حقها(٤) أن تشتكى كمد اليأس وذل الطمع(٥)

* * *

كبد حرى ودمع(٦) يكف

يعرف (٧) الذنب ولا يعترف (٨)

أيها المعرض عما أصف (٩)

قد نما حبك(١٠) عندى(١١) وزكا لا تقل إنى فى حبك مدع(١٢)

---

(١) المغرب : قد براني فى هواك الكمد .

(٢) دار الطرب والمطرب : ما لقومى ، وفى معجم الأدباء : يا القوم .

(٣) معجم الأدباء : هجروا .

(٤) المغرب وطبقات الأطباء : حقه ، وفى معجم الأدباء : ان مثلى حقه أن يشتكى .

(٥) اختلف ترتيب هذا القفل فى المغرب فجاء تفـــلا للبيت الخامس الذى جاء ترتيبه الرابع فى المغرب .

(٦) فى جيش التوشيح وتوشيع التوشيح والعذارى المائسات : ودمعى .

(٧) فى المغرب وتوشيع التوشيح : تعرف .

(٨) فى المغرب وتوشيع التوشيح : تعترف .

(٩) اختلف ترتيب هذا الدور فى المغرب فجاء على هذا النحو : ٣ ، ٢ ، ١ .

(١٠) فى توشيع التوشيح والعـذارى المائسات : حبى .

(١١) فى جيش التوشيح وتوشيع التوشيح والعذارى المائسات وعقود اللال : بقلبى .

(١٢) فى جيش التوشيح : وتقل انى فى حبـك مدعى . وفى المغرب ومعجم الأدباء وطبقات الأطباء : لا يظن الحب انى مدعى ، وفى توشيع التوشيح والعذارى المائسات : لا تخل فى الحب انى مدعى .

(١٨)(*)

هل للعزا فيك سبيل   يا هاجرى ما أغدرك
ذدت الكرى عن بصرى   لله طرف أبصرك

* * *

طاوعت فى أمرى (١) النوى   ولم ترق لى شفقا
وليس لى ذنب سوى   أمر لحينى سبقا
تجور أحكام الهوى   ليت الهوى ما خلقا
صيرنى عبداً ذليل   إذ كان مولى صيرك
ولم يكن فى القدر   من حيلة أن أحذرك

* * *

يا طالعة الشمس أما   أصلحت ذاك الخلقا
جعلت قربى حـرما   هيجت جسمى حرقا
ولم تعرج كلمـا   جئتك أشكو الأرقا
وقام للوجد دليل   بالسر منى (٢) أخبرك
أخذت فى قتل برى   ولم تحقق نظرك

(*) وردت فى جيش التوشيح ص ٢٠٩ — ٢١٠ .
(١) فى ديوان الموشحات الأندلسية : رأى .
(٢) فى ديوان الموشحات الأندلسية : قلبى .

* * *

حكمت حبي زمنا عن علمكم منتزحا

ولم أكن أبدى الضنا ولا كشفت البرحا

حتى إذا الحين دنا أدركت منى لمحا

وكان من رأى العذول إذ غشنى أن أهجرك

وأنت بالهجر حرى لكن وجدى أظفرك

* * *

برد جوى في كبدى واعطف لظمآن صدى

يا من سبانى رشدى وبز نفسى جلدى

تالله ما في جسدى موضع لمس ليده

إلا سقام ونحول لم يبق لى ولا ترك

جاوزت حد البشر يا مهجتى ما أصبرك

* * *

بعدك مانمت ولا ألفت إلا السهرا

فى ليـلة طالت بلا صبح ولاضوء يرى

فقلت والبدر (١) على حين من الليل سرى

يا ليل طل أولا تطول (٢) لا بد لى أن أسهرك (٣)

لو بات عندى قمرى ما بت أرعى قمرك (٤)

---

(١) ديوان الموشحات الأندلسية : للبـدر .

(٢) فى جيش التوشيح : لا تطل وقـد أثبتناها ملحونه لتتفق مع قوافى الأقفال الأخرى .

(٣) هذان البيتان لابن زيدون . أنظر ديوانه ص ١٨٢ وقد اقتبسها ابن زهر وجعلها خرجة لموشحته .

(١٩)(*)

بأبى من رابها نظرى فبدا في وجهها الخجل

* * *

أمهاة تلك أم بشر
للورى فى حسنها عبر
غصن بان فوقه قمر
ورحيق جال فى درر أين منه ويحك القبل

• • •

بدر ثم غاب فى الكلل
فنأى عنى ولم يزل
وحياة الأعين النجل
ما يطيق البين من ضرر فوق ما ناءت به الكلل

(*) وردت فى توشيع التوشيح ص ٥٧ — ٥٩ .

يا غـزالا راعه شرك
هل لقلبي عنك مترك
أو على عينيك لي درك
فى سنان الغنج والحور ما جناه الكحل والكحل

* * *

بت بـين الدمع والسهد
واضعا كفى على كبدى
وبدى الأخرى تشد يدى
وتراءى الموت فى صور غير أن لم يبلغ الأجل

* * *

أين منى الصبر والجـلد
ضقت ذرعا بالذى أجد
الهوى والبث والكمد
من أراد ان يدرى إيش خبرى عشق هو أى قلب يحتملو

* * *

(٢٠)(*)

جنت مقل الغزلان جنايا الشمول
على عالم الإنسان جيلا بعد جيل

* * *

أهيم بمن يطغيه على الجمال
أداريه أسترضيه فيأبى الدلال
لقد عذلونى فيه وقالوا وقالوا
على حين قد ألهانى عن قال وقيل
ليل الصدو الهجران ويوم الرحيل

* * *

إلى كم أدارى اللوام مثنى وفرادى
وتالله أخرى الأيام لا أعطى قيادا
لهفى صرت بين الأقوام حديثاً معادا
وقد قعدت أشجانى بكل سبيل
ولا عهد بالسلوان ولا ينبغى لى

(*) وردت فى : المغرب ١/٢٧٤ـ٢٧٥ .

* * *

هو الحسن لا أختار مطلوباً عليه
وجه تشرق الأنوار على صفحتيه
وتستبق الأبصار إليه إليه
وقد كغصن البان فى حقف مهيل
فذاك الذي يلحانى عليه عذولى

* * *

يابن الناصر المنصور يابن المجد أجمع
أنت الأمن للمذعور مما يتوقع
فكم جذل مسرور يقول ويسمع
أبو حفص ه سلطانى الله يحرزولى
ه آمني ه أغنانى ه بلغن سولى

(٢١)(*)

حى الوجوه الملاحا   وحى نجل (١) العيون

* * *

هل في الهوى من جناح
أو فى (٢) نديم وراح
رام النصوح (٣) صلاحى
وكيف أرجو صلاحا   بين الهوى والمجون

* * *

أبكى العيون (٤) البواكى
تذكار أخت السماك
حتى حمام الأراك
بكى بشجوى (٥) وناحا   على فروع الغصون

(*) وردت فى : جيش التوشيح ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ ، المغرب ١/٢٧٨ ـ ٢٧٩ ، توشيع التوشيح ص ١٠١ــ١٠٣ ، طبقات الأطباء ٢/٧٣ .

وجاء ترتيب الابيات فى توشيع التوشيح وطبقات الأطباء مخالفاً للمغرب وجيش التوشيح اللذين التزمنا بترتيبها ، وترتيب الأبيات فى توشيع التوشيح وطبقات الأطباء على هذا النحو : ١ ، ٤ ، ٢ ، ٣ ، ٥ .

(١) فى توشيع التوشيح : سود ، وفى طبقات الأطباء : كحل .

(٢) فى توشيع التوشيح وطبقات الأطباء : وفى .

(٣) المغرب : النصيح .

(٥) المغرب : هجونى ، وفى توشيع التوشيح وطبقات الأطباء : بشجو .

* * *

ألقى إليها زمامه

صب يداري (١) غرامه

ولا يطيق اكتتامه(٢)

غدا بشوق وراحا ما بين شتى (٣) الظنون

* * *

يا غائباً لا يغيب

أنت البعيد القريب

كم تشتكيك القلوب

أثخنتهن جراحا فاسأل (٤) سهام الجفون

* * *

يا راحلا لم يودع

رحلت بالأنس أجمع

والفجر (٥) يعطى ويمنع

مرت (٦) عينيك الملاحا (٧) سحر (٨) وما (٩) ودعوني

---

(١) توشيع التوشيح وطبقات الأطباء : يداوى .

(٢) » » » » : الملامة .

(٣) » » » » : سبي .

(٤) المغرب : فاترك ، توشيع التوشيح : واسأل .

(٥) جيش التوشيح : والبحر . وفي توشيع التوشيح وطبقات الأطباء : والعجز .

(٦) » » : حوت .

(٧) توشيع التوشيح وطبقات الأطباء : مروا وأخفوا الرواحا .

(٨) توشيع التوشيح : شئ ، وفي المغرب وطبقات الأطباء وجيش التوشيح : سحرا .

(٩) المغرب . فما .

(٢٢) (*)

ما للموله   من سكره(١) لا يفيق   يا له سكران(٢)
من غير خمر   يا للكئيب المشوق   يندب الأوطان

* * *

هل تستعاد   أيامنا بالخليج   ولياليـنـا
إذ(٤) يستفاد   من النسيم الأريج   مسك دارينا
وإذ(٥) يكاد   حسن المكان البهيج   أن يحيينا
نهر(٦) أظله   دوح عليه أنيق   مورق الأفنان(٧)
والماء يجرى   وعائم وغريق   من جنى الريحان(٨)

(*) وردت مفرقة فى نفح الطيب ٧/ ص٩ ، ٢٥٠ ، المقتطف ١٥٢ ، المغرب ٢٧١/١ ، العذاري المائسات ص ٥٦ ، أزهار الرياض ٢/ ٢١٠ ، مقدمة ابن خلدون ١٣٣٢/٤ الروضة الغناء (نقلا عن المستدرك على ديوان الموشحات الأندلسية ص ٥٧) ، عدة الجليس ص ١٦٧ (نقلا عن الزجل فى الأندلس ص ١٩) .

(١) عدة الجليس . من عمره .

(٢) ورد هـذا السمط فى المغرب ٢٧١/١ وذكر بعده ان الموشحة تقدمت فى المتنزهات ، يعنى الحديث عن متنزهات اشبيلية وهى فيما سقط من المغرب .

(٣) نفح الطيب . ما .

(٤) مقدمة ابن خلدون . أو .

(٥) عدة الجليس . أو هل .

(٦) عدة الجليس . روض .

(٧) نفح الطيب . مؤنق فيذان .

(٨) الى هنا ينتهى ما وردت فى نفح الطيب (٧/ص ٥) من هذه الموشحة .

أو هل أديب　يجي لنا بالعروس　ما كان أحلى
معي الحبيب　وصافيات الكئوس　فاسقني واملا
عيش يطيب　ومنزه كالعروس　عندما تجلى
عيش لعله　يعود منه فريق　كالذى قد كان
أضغاث فكر　تحدو به وتسوق　هـذه الألحان

* * *

يا صاحبيا　إلى متى تعذلانى　أقصرا شيا
قـد مت حيا　والمبتلى بالغوانى　ميت حيـا
جنى عليـا　عذب اللمى والمعانى　عاطر ريـا
هلال كلـه　غزال إنس يفوق　سائر الغزلان
ياليت شعرى　هل لى إليه طريق　أو إلى السلوان

* * *

من يميل كأنه فى التثنى غصن البانه (١)

خاق جميل عليه من كل حسن رونق زانه (٢)

خود تقول ليست كأخرى تغنى وهى سكرانه

نعم يا لله يعشقنى وانا عشيق ونحن صبيان

لس بالله ندرى دع كل حد مع رفيق(٣) إش يكون ان كان

٭ ٭ ٭

---

(١) ، (٢) هذان الغصنان كانا ساقطين من الموشحة ولكنهما وردا فى الروضة الغناء .

(٣) عدة الجليس : ولهق .

(٢٣) (*)

قلب مدله وفي الضلوع حريق يا له لا كان
يذيب صبري ولا تزال تريق دمعها الأجفان

* * *

أخت السماك شوقي إليك شديد آه من قلبي
أما هواك فثابت ويزيد الهوى حسبي
على نواك أني هناك شهيد معرك الحب
يا من أضله عن الصواب فريق قولهم بهتان
بل ليس تدري أن العذول حقيق منك بالهجران

* * *

قلب قريح وفي الفؤاد كلوم أبداً تدمى
ويا مشيح إلى متى تستديم جسدي سقما
ويا نصوح أهدى إليك الملوم أذناً صما
أطلت عذله وما أراك تطيق رده عن شان
وأي نكر أن يستلام (١) مشوق عذره قد بان

(*) وردت في : جيش التوشيح ص ٢٠٧ — ٢٠٨ .

(١) في جيش التوشيح : يلام .

. . .

كذا أذوب ولا يزال الغليل جسدي يضنى
فر الطبيب من علتى ويقول أين هو منى
ولى حبيب يسلو (١) الوصال بخيل سيء الظن
إن رمت وصله قال أنت صديق ضيع الكتمان
إن باح سرى إنى بـذا خليق وبدا إعلان

. . .

يا من لديـه حسن الملاح حقـير كلما تاهوا (٢)
ومن عليه حرب الموالى يسير حـين يلقـاه
ومن إليه أشكو الهوى ويجور حسبي الله
يا خير جمله فيك الجمال أنيق والصباريان
أنا لعمرى فى مقلتيك أفوق فى الهوى غيلان (٣)

---

(١) جيش التوشيح : يسؤل ، وما أثبتناه عن ديوان الموشحات الأندلسية ٢/٨٢ .
(٢) « « : تاه .
(٣) غيلان : هو ذو الرمة .

يا من يطيل من الصدود كفاكا استمع منى
ويا عذول أليس تملك فاكا انتـه عنى
ويا بخيل ألا (١) أبحت لـا كا جود ممتن
قبلنى قبله ومر عنى طريق ذا الرشا الوسنان
ياليت شعرى وفى طريقي لحيق أماح الغزلان

---

(١) جيش التوشيح: الى .

(٢٤) (*)

* * *

قلبي من الحب غير صاح | صاح
وإن لحانى على الملاح | لاح
وإنما بغية اقتراحى | راحى
وإن درى قصتى وشانى | شان

* * *

وبى من الحب قد تسلسل | سلسل (١)
فى صورة الدمع بعدما انهل | منهل
والعود عندى لمن تأول | أول
والحسن فيه على المثانى | ثان

* * *

يا أم سعد باسم السعود | عودى
وبعد حين من الهجود | جودى
على مليك تحت البنود | نودى
فقال إنى بمن دعانى | عان

* * *

(*) وردت فى توشيع التوشيح ص ٩٦ـ٩٧ ، عقود اللآل ٩١ .

(١) فى توشيع التوشيح : سل سل .

وناظر (١) ناضر (٢) المحيا حيـا
أراك من قوله إليـــا ليـا
فأنشدته لمن تهيا هيـا
واحد هو يا أمى من جيرانى رانى (٣)

* * *

وناطق بالذى كفـــاها فاها
وبعدما راغباً أتاها تاها
وبالجمال الذى سباها باهى
قالت على الحسن من سبانى بانى

---

(١) توشيع التوشيح ، عقود اللال : وناظري .

(٢) عقود اللال : ناظر .

(٣) كذا ترتيب الأبيـات فى توشيع التوشيح وعقود اللال ، والأصوب أن يكون ترتيب الابيات على هـذا النحو : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٤ لان الخرجة (العامية) جاءت فى البيت الرابع .

(٢٥) (*)

لأ تبعن الهوى إلى أقاصيه (١)
حتى يقول فريق رقت حواشيه

* * *

ماعيل مصطبرى لولاك يايحيي
أموت بالنظر وتارة أحيا
ما شئت من خبر يا بدع فى الأشيا
صب يقاسي النوى فيما يقاسيه
بفيض وادى العقيق على مآقيه

* * *

من لى بوجه جمع محاسن الصور
يغنى إذا ما طلع عن مطلع القمر
ومبسم لم يدع صبراً لمصطبر
مثل الأقاح استوى فبات يسقيه
ريق كأن الرحيق مشعشع فيه

* * *

(*) وردت فى : المغرب ١/٢٧٥ـ٢٧٦ .
(١) فى ديوان الموشحات الأندلسية : أقاحيه .

دمعى جرى فنطق — عن بعض ما أجد
ومسعدى فى الأرق — والناس قد رقدوا
نجم ضعيف الرمق — حيران منفرد
يلوح ضعف القوى — على توانيه
مثل التماس الغريق — ما ليس ينجيه

* * *

وجه كمثل الهلال — يبدو على غصن
رصعته بالجمال — وتحفة الحسن
فعند ذلك قال — قولوا له عنى
لس نرتضى لو سوى — وصفى وتشبيهى
يريد نكون ل صديق — يصبر على تيهى

فهرس الموشحات بحسب ورودها

الموشحة	النوع	الخرجة	الوزن
(١) كل له هواك يطيب	تام	عامية	من المنسرح الأقفال : مستفعلن فعولات فعلن الأدوار : مستفعلن فعولات فعلن
٢ ـ هات ابنة العنب	تام	عامية	الأقفال : من البسيط مستفعلن فعلن فاعلن الأدوار : من المجتث مستفعلن فاعلاتن
٣ ـ ما العيد فى حلة وطاق	تام	ناقصة	من البسيط الأقفال : مستفعلن فاعلن فعولن مستفعلن فا
٤ ـ فتق المسك بكافور الصباح	تام	فصحى (مقتبسة)	من الرمل : الأقفال : فاعلاتن فاعلاتن فاعلان الأدوار : فاعلاتن فاعلاتن فاعلن

الموشحة	النوع	الخرجة	الوزن
٥ ـ هل ينفع الوجد أو يفيد	تام	عامية	من البسيط : الأقفال : مستفعلن فاعلن فعول الأدوار : مستفعلن فاعلن فعولن مستفعلن فاعلن فعو
٦ ـ نبه الصبح رقدة النائم	تام	فصحى	من الخفيف الأقفال والأدوار : فاعلاتن متفعلن فعلن فاعلاتن متاف
٧ ـ هل لقلبي قرار	تام	فصحى	من الخفيف : الأقفال والأدوار : فاعلاتن فعولن مع تذييل السمط الثانى من القفل بـ (فعولن)
٨ ـ يا صاحبي نداء مغتبط بصاحب	أقرع	عامية	من الكامل : الأدوار : متفاعلن متفاعلن متفاعلاتن

الموشحة	النوع	الخرجة	الوزن
٩ ـ زعمت أنفاسى الصعدا	تام		من المديد فاعلاتن فاعلن فعلن
١٠ ـ مد الخليج ..	تام	عامية	من الرجز القفل : مستفعلن مس × تفعلن متفعلن
١١ ـ سدلن ظلام الشعور	تام	عامية	من المتقارب : الاقفال : فعولن فعولن فعول الادوار : فعولن فعولن فعو
١٢ ـ حسب الخليج ملجا	تام	عامية	من الرجز الاقفال والادوار : مستفعلن فعولن مستفعلن فعو
١٣ ـ عبرة تسيل	تام	عامية	من المقتضب الاقفال : فاعلاتن مفعو .·. فاعلاتن مفتعلن الادوار : فاعلاتن مفعو .·. فاعلاتن مفعولن

الموشحة	النوع	الخرجة	الوزن
١٤ ـ صادنى ولم يدر ما صادا	أقرع	عامية	من مقلوب البسيط الادوار : فاعلاتن مستفعلن فعلن
١٥ ـ سلم الأمر للقضا	تام	فصحى (مقتبسة)	من الخفيف : فاعلاتن متفع لن
١٦ ـ يا من تعاطينا	أقرع	عامية	من الكامل الادوار متفاعلن متفاعلن متفاعلاتن
١٧ ـ أيها الساقى إليك المشتكى	تام	عامية	من الرمل : فاعلاتن فاعلاتن فاعلن
١٨ ـ هل للعزا فيك سبيل	تام	مقتبسة	من الرجز : الادوار : مستفعلن مستفعلن .·. مستفعلن مستفعلن
١٩ ـ بأبى من رابها نظرى	تام	عامية	من المديد فاعلاتن فاعلن فعلن
٢٠ ـ جنت مقل الغزلان	تام	عامية	من المقتضب الاقفال والادوات : مفعولاتمفعولاتن مفعولاتمفعو

الموشحة	النوع	الخرجة	الوزن
٢١ ـ حي الوجوه الملاحا	تام	عامية	من المجتث مستفع لن فاعلاتن
٢٢ ـ ماللموله	تام	عامية	من البسيط الاقفال والادوار : مستفعلن فا مستفعلن فاعلن مس × تفعلن فعلن
٢٣ ـ قلب مدله	تام	عامية	من البسيط الاقفال والادوار على نمط الموشحة السابقة
٢٤ ـ قلبي من الحب غير صاح	أقرع	عامية	من البسيط الاقفال والادوار : مستفعلن فاعلن فعولن.·. عولن
٢٥ ـ لأتبعن الهوى	تام	عامية	من البسيط الاقفال والادوار : مستفعلن فاعان مستفعلن فعلن

المصادر والمراجع

المصادر:

ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، مجريط ، ١٨٨٦ .

ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، القاهرة ١٨٨٢ .

ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق د . إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٩ .

أبو تمام : ديوان ، تحقيق محمد عزام ، القاهرة ، ١٩٥١ .

ابن حمديس : ديوان ، تحقيق د . إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٠ .

الخـــازن : العذارى المائسات فى الأزجال والموشحات ، جونيه ، ١٩٠٢ .

ابن الخطيب : جيش التوشيح ، تحقيق هلال ناجى ومحمد ماضور ، مطبعة المنار ، تونس ، ١٩٦٧ .

ابن خلدون : مقدمة العبر ، القاهرة ، ١٩٣٠ .

ابن خلكان : وفيات الأعيان ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

ابن دحية : المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق الأبيارى وعابدين ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

ابن زيدون : ديوان ، تحقيق على عبد العظيم ، ط . دار نهضة مصر ، ١٩٨٠ .

ابن سعيد : إختصار القدح المعلى فى التاريخ المحلى ، تحقيق الابيارى ، القاهره ، ١٩٥٩ .

» » : المغرب فى حلى المغرب تحقيق د . شوقى ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٨

» » : المقتطف من أزاهر الطرف ، مصورة عن مخطوطة الاسكوريال .

ابن سناء الملك : دار الطراز فى عمل الموشحات ، تحقيق د . جودت الركابى ، دمشق ، ١٩٤٩ .

ابن صاحب الصلاة: المن بالامامة على المستضعفين ، تحقيق التازى ، بيروت ، ١٩٦٤ .

الصفدى : توشيع التوشيح ، تحقيق البير مطلق ، بيروت ١٩٦٦

» : الوافى بالوفيات ، تحقيق ريتر ، ديدرينغ ، نجم ، بيروت ٦٢ / ١٩٧٢ .

صفوان بن إدريس : زاد المسافر ، تحقيق ، عبد القادر محداد ، بيروت ، ١٩٧٠ .

الضبي : بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

عبد الملك المراكشي : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق د . إحسان عباس ، بيروت ، ٦٤ / ١٩٦٥ .

عبدالواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق العريان والعلمي ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

ابن عربي : ديوان ، بولاق ، القاهرة ١٨٥٥

العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ، ١٣٥٠ — ١٣٥١ هـ

الغبريني : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق عادل نويهض ، بيروت ، ١٩٦٩ .

المحبي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، المطبعة الوهبية ، القاهرة ، ١٢٨٤ هـ

المقري : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، تحقيق السقا والابياري وشلبي ، القاهرة ، ٣٩ / ١٩٤٢

« : نفح الطيب ، تحقيق د . إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ .

النواجي : عقود اللآل في الموشحات والأزجال ، مصور عن مخطوطة الاسكوريال .

ياقوت : إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الادباء) القاهرة ، ٣٦ / ١٩٣٨ .

المراجـــع

الأهوانى (د . عبد العزيز) الزجل فى الأندلس ، القاهرة ، ١٩٥٧

بالنثيا (جنثالث) : تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة د . حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥٥

البستانى (بطرس) : أدباء العرب فى الأندلس وعصر الإنبعاث ، الطبعة الثالثة ، بيروت

الجرارى (د . عباس) : موشحات مغربية ، الدار البيضاء ، ١٩٧٣

خفاجى (د. محمد عبدالمنعم): ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان ، القاهرة ، ١٩٤٩

خلوصى (د . صفاء) : فن التقطيع الشعرى والقافية ، بيروت ، ١٩٧٤

الشكعة (د مصطفى) : الأدب الأندلسى ، موضوعاته وفنونه ، بيروت ، ١٩٧٥

عنان (د . محمد عبد الله) : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس القاهرة ، ١٩٦٤

عنانى (د . محمد زكريا) : المستدرك على ديوان الموشحات الأندلسية ، الاسكندرية ، ١٩٨٢

عيسى (د . فوزى سعد) : الشعر الأندلسى فى عصر الموحدين ، الاسكندرية ، ١٩٧٩

غازى (د . سيد مصطفى) : فى أصول التوشيح ، الاسكندرية ، ١٩٧٦

» » » » : ديوان الموشحات الأندلسية ، الاسكندرية، ١٩٧٩

كنون (عبد الله) : النبوغ المغربى فى الأدب العربى ، بيروت، ١٩٦١

كيلانى (كامل) : نظرات فى تاريخ الأدب الاندلسى ، القاهرة ، ١٩٢٤

مجموعة مؤلفين : حركات التجديد فى الأدب العربى ، القاهرة، ١٩٦٤ .

مصطفى الكريم : فن التوشيح ، بيروت ، ١٩٥٩

هيكل (د . أحمد) : الأدب الاندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة ، الطبعة السابعة ، القاهرة ، ١٩٧٩



الفهـــرس



رقم الايداع ٤١٨٢ / ٨٣

البرقيم الدولى ٧ - ٠٧٨ - ١٠٣ - ٩٧٧